

**THE BOOK WAS
DRENCHED**

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190219

UNIVERSAL
LIBRARY

الصَّابِغَةُ

قَدِيمًا وَحَدِيثًا

بقلم

السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الْحَسَنِيِّ

عقدمة نفيسة من قلم حضرة صاحب السعادة العلامة

أحمد زكي باشا

طبع بنفقه

مكتبة النجاشي

لاصحة ابن ماجا اولاد محمد ابن النجاشي
بشاع عبدالعزير عمر

صندوق البوستة - مصر ١٩٢٥

الطبعة الأولى

باذن حضرة المؤلف وتصحيحه

سنة ١٣٥٠ هـ سنة ١٩٣١ م

حقوق الطبع محفوظة

كلمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

في العراق جماعة من الناس يتراوح عدد نفوسهم بين الخمسة والستة آلاف نسمة يعيشون على ضفاف الأنهر، ويتفردون بعادات وتقاليد لم تألفها بقية الأمم، ويسمون أنفسهم (الصابئة) وقد تكون هذه الجماعة من الصابئة القديمة وقد لا تكون إلا أن الشيء المحقق عندي هو أن قسماً كبيراً من عبادة الصابئة الأقدمين وطقوسهم الدينية بارزة بين معتقدات هذا الفريق من الناس .

والرسالة التي بين يديك أيها القارئ الكريم قد توقعك على كثير من عادات وتقاليد وطقوس وفرق الصابئة قديماً وحديثاً. فإن كنت قد أفدت التاريخ بتدوينها ونشرها، فذلك حسبي ومن الله التوفيق

الحسني

بغداد سلخ ربيع الأول سنة ١٣٥٠

مقدمة

بقلم حضرة صاحب السعادة البعثة الكبير والأستاذ الجليل

شيخ العروبة العلامة

أحمد زكي باشا

البراءة في نظري نوعان : براءة الابتكار ، وبراءة الاتقان .

١ — براءة الابتكار، أن يتناول الانسان غرضاً من أغراض العمران ، أو عرضاً من أعراض الحياة ، فيتولاه بالتفكير الطويل ويعالجه بتكرار النظر العميق ، حتى إذا توافرت لديه الوسائل وتهيأت أمامه الأسباب ، أبرز للناس خلاصة بحته الناضج ، فإذا هي حلية للابصار ، وجوهرة للعقول ، ومتمعة للناس . هذه البراءة مقصورة على أفراد معدودين ، يبعثهم الله من حين إلى حين ، وفي جيل دون جيل . وهم قليل بل أقل من القليل . ولكن ثمرات أعمالهم تنتقل بالانسانية كلها من حال إلى أسمى منها ، وترتقى بالحضارة إلى ما هو أرفع وأرفه . وهذه نعمة من نعم الله ، فيها الخير العام وفيها البركة الشاملة .

٢ — أما براءة الاتقان ، فإنها مختلفة المظاهر ، متعددة الأشكال . وسأقف في هذه الكلمة أمام ناحية واحدة من نواحيها الجمّة .

تلك هي ناحية التحقيق العلمي الصحيح .

فالبراءة كل البراءة أن يعالج الكاتب موضوعاً مطروحاً أو بحثاً معهوداً ، أو أن يلتبس أثراً مشهوداً أو أمراً معروفاً ، فيدرسه درساً صحيحاً ، ويبحثه بحثاً دقيقاً . ثم يفيض عليه شيئاً من سحر البيان ، ويصيف اليه قبساً من نور العرفان ، منع تزيينه بطريف التخييص ومبتكر التحقيق .

البراعة كل البراعة ، أن يحميد بعد ذلك تديج أطرافه وتوشية حواشيه ، بما ينفخه من روح الحياة فيه ، مما نزل عليه من الاطام بطريق الرحلة إلى المصادر الأوّلة ، أو توصل إليه عن طريق المكابدة في الاستقاء من المناهل الأصلية هذه هي البراعة التي امتاز بها أعلام العروبة على عهد ازدهارها : في مكة والمدينة ، في صنعاء وزيد ، في المصرية والكوفة ، في بغداد والموصل ، في دمشق وحلب ، في القدس وطبرية ، في الفسطاط والقاهرة ، في برقة وطرابلس ، في المهديّة والقيروان ، في وهران وتلمسان ، في فاس ومراكش ، في سنقبط وتندسكت^(١) ثم في قرطبة وغرناطة ، وغيرهما من أمصار الفردوس الاسلامي المفقود ، وأخوه الذي هو على شفا جرف هار .

هذه هي البراعة التي أحمى أثرها (إلا نزرأ يسيراً تحت الاطلاع) فقد درست تلك بالاعلام .

هذه هي البراعة التي خما نورها (إلا سحراً صئبلاً بين الرماد) فقد انطأ ذلك المصاح .

بشدّها هما وهما ، ولا نجد لها غير ثمالة زهيدة عندنا ، مرهود فيها عند غيرنا . أما نفجاتها الحفة ، وأما مظاهرها النافعة ، فقد ودعت بلادنا من رمان عبيد ، ثم طاب لها القرار في ديار الفريج ، لأهم أكرموا منواها ، ولا يرلون يباعون في الحفاوة بها .

(١) عاصمة الصحراء في أفريقيا . وهي التي مسح الجهلة المتمرنجون اسمها مسابمة الافرنج في فولهم Tombouctou فقالوا « تمبكو » والصواب ماقلت « تبكت » (بضم فسكون فضممان بينهما سكون) . فافهم واحفظ . لأن الافرنج رسموا اللفظ حسب النطق به . ولكن المتمرنجين مسبوخوه بالأخذ عنهم . دون الرجوع الى أهل العلم أو أهل الدار .

حقاً، إنهم أخذوا عن أجدادنا في الأندلس والمغرب ومصر والشام والعراق والجزيرة المقدسة وما إلى وراء ذلك حتى مطلع الشمس . بيد أنهم واصلوا البحث والدرس حتى وصلوا إلى تسخير العناصر لخدمتهم وإلى ابتكار الصناعات واختراع البدائع التي يصح وصفها بأنها مما « لا عين رأت ولا أدن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

هم يتوافدون من كل فج عميق على أقطار العروبة من أقصاها إلى أقصاها، فيبحنون عما جهلنا من آثار أجدادنا الأولين .

هم ينقبون عن مفاخر أقوامنا في كل فن ومطلب ، فيعيدونها إلى الحياة ، ونحن نيام نيام ، ولا أقول غير ذلك .

على أننا، نحمد الله ، قد بدأنا بأخذ عنهم ، ثم أنشأنا ننسج على منوالهم ، فدخلنا طور التجربة وسيتبعه طور الانتقال ، فنكون جديرين بالأجداد .

٣ — بدأت بشائر هذه النهضة في مصر ، لحاوتها الشامات . ثم جاء الدور لبغداد . وهو آت بلا شك إلى الجزيرة المقدسة .

وطالما تغنيت بما حدث في مصر والشام ، وطالما تمنيت أن أترجم بغيرهما من بقاع العروبة وإنني لسعيد بالتحدث في هذه الكلمة عن العراق .

٤ — ففي بغداد نهضة مباركة ، وفي كل أنحاء العراق شعب طموح وثاب . وها هي آثار العمران تعود قليلا قليلا إلى مهد العمران . وها هي شذبية الفرات تستقي من « النيل » ومن « السين » و « التاميز » ثم تعود إلى الرافدين لنشر العلم ولأحياء الصناعة في « ما بين النهرين » .

والذي تنأى لي عن ثقات الأصدقاء الصادقين ، أن الحركة الاقتصادية والصناعية في ديار العباسيين ، بين الوطنيين ، وفي دائرة الوطنيين ، ولمصلحة الوطنيين ، هي أوسع نطاقا وأغزر مادة وأكثر رواجاً مما هو حاصل في وادي

النيل . وهذا شئ . محمود تقابله بالاعتباط مع الارتياح .
ولقد رأيت سادتهم وقادتهم في الشتاء الماضي بأرض مصر ، وهم (مثل
طلبتهم هنا) متشحون بـ ٤٠ لابس كلها من نسيج بلادهم . وهم بها فخورون .
أما الصحافة ، وهي عنوان النهضة ، ومرآة الأمة ، ورسول الوطنية ، فأننى
أرى فيها كل يوم بشارة جديدة تبعث الأمل وتقيمه على دعائم راسخة
وأما الجوّ العلمى ، فقد كان إلى عهد قريب فى خمولى وخمود .
ولكن السحاب السود ، بدأت تتبدّد عنه ، فانبثق مجال ضئيل للنور .
وعن قريب يتم له الاشراق على كل آفاق العراق . فيعود لبغداد عصر نبي العباس
فى ثوب عصري قشيب .

٥ — من آثار تلك البراعة التى تحدثت عنها فى العراقين ؛ ومن مظاهر
هذا النور الذى ترمّقتة فوق الرافدين ، هذا الكتاب الصغير . هذا الكتاب
الذى توفر مؤلفه البارع على درس الصابئة أو القوم الألى يسمون أنفسهم
بالصابئة فى بطائح البصرة وفى سهول الموصل . وقد أجاد فيه واستوفى شروط
البراعة التى أشرت إليها فى صدر هذه الكلمة .

وأنت ، إذا قرأته مثلى ، رأيت فيه دليل البراعة التى حدثتك عنها .
وأنا أتنبأ لصاحبه بأن كتابه هذا سيتناوله المستشرقون بالترجمة إلى
الألمانية وإلى كثير من اللغات الأخرى ، وأنه سيكون مصدراً من مصادر
أبحاثهم ، ومرجعاً يرجعون إليه ، ومنهلاً يستقون منه . وجسبه ذلك فخاراً

أحمد زكى باشا

ولمثل هذا فليعمل العاملون ؟

عن دار العروبة } ربيع الثانى سنة ١٣٥٠
أغسطس سنة ١٩٣١

الصائبة قديماً وحديثاً

توطئة

نظرة واحدة الى تطورات الفكر البشري في مختلف عصوره،
تدل الباحث على الاتجاهات الفكرية الغربية، والى تعدد النظرات
في فهم هذا الكون وتفهمه .

ومهما حاول الانسان أن يبتعد في تفكيره عن المعتقد وأن
يجعل النظر خالصاً من شائبة الايمان؛ فانه لا يستطيع الى ذلك
سبيلاً . فالبحث في المعتقدات انما هو بحث في طوابع التفكير
ومناهج النظر البشري . الا ان فائدة هذا البحث لا تقتصر على
دراسة تاريخ المعتقدات والمذاهب فحسب ، انما ترينا كيف شرع
الانسان الأول يفكر في نفسه وفي خالقه وفي الولاطة بينه وبين
هذه القوة المدبرة وتوقفنا من جهة ثانية على قيمة ما يظهر من
النظريات في عصرنا الحاضر وما نراه مستحدثاً وطريفاً في آراء
البشر ومعتقداته .

وضروري أن يعود الانسان الى تاريخ التفكير والمعتقد
ليطلع من ورائه على غرائز البشر العامة وعلى ميوله وتأثيره
بالظروف والأحوال . فكل وجودات الانسان فكرية كانت

أومادية مرتبطة تمام الارتباط ومستند بعضها الى بعض. وقد تكون هذه التفكيرات والمعتقدات عند التحليل والتمحيص ذات أصل واحد تشعبت منه ووطّرت الانسان وتطورت معه ولكنها أصبحت بمرور الأزمان مختلفة تمام الاختلاف ومتباينة تباين سلائل الانسان الحاضر .

وكل ما يأتي به الباحث في مواضيع غامضة كهذه ، هو أن يدل المتتبع على أصلها الذي نشأت منه ، ويلوِّح الى العوامل والمؤثرات التي عملت على تعريفه ، والصابئة من بين الأديان القديمة التي تستحق أن توضع موضع البحث الواسع في اللغة العربية، وتستخلص زبدة الفكر فيها من كتب التاريخ والأديان القديمة، ويستعان على ذلك بما في كتب المؤلفين العصريين الأجانب من تطورات واجتهادات عسى أن تكون مجملات يرفا في تاريخ الصابئة يستعين به قراء العربية في فهم دقائق هذا المذهب الغامض. وقد يضطرنا البحث في دين الصابئة الى التعرّض والنظر في فكرة التوحيد ومنشئها والطرق التي توصل بها البشر الى الاعتقاد بقوة واحدة تدبر هذا الكون وتهيمن عليه.

نظر البشر الى هذا الكون فأبهره ما يحيط به من مظاهر الطبيعة وعجائب الكون. ورأى نفسه موجوداً صغيراً عاجزاً عن رد الطوارئ الكونية ومجاهة العاديات فأكبر العاصفة وارتعدت

فرائصه للصاعقة، ورأى في كل تلك المظاهر قوةً مدركةً وحياةً خاصةً قاسمها بما له من وجود وإدراك وحياة ورآها مثالا للقوة التي تستحق الانقياد والخضوع، ومن هنا نشأت فكرة العبادة لمظاهر الكون واستمر البشر يؤلّه كل ما يخاف منه وما يجهل كنهه، وأرى فيه شيئا غريبا حتى تطورت فكرة الدين بتطور البشر وأصبحت المظاهر الطبيعية تنضوي قواها وتستتر صفاتها في قوى محصورة ثم في قوة واحدة.

فبعد أن كان الريح العاصف والصاعقة الخيفة والشمس المبهرة والنار المتأججة وما سواها من مظاهر الطبيعة، آلهة تعبد وأرباباً تطلب منها المساعدة والمعونة، أصبحت تلك القوى التي استترت فيها متمثلة في عدد محصور من الكواكب السيارة وفي قوة تمثلها تلك الكواكب. واستمرت هذه الفكرة وتطورت فأصبح عدد الكواكب يتضاءل وأصبحت تلك الآلهة المتعددة يحتفي بعضها ضمن بعض حتى لم يبق إلا إله واحد، وأصبح الخلاف في صفاته ووجهات النظر إليه بعد أن كان نزاعاً وخلافاً في شركائه وأقرانه. ولكن بالرغم من هذه التطورات التي تطورها البشرية في عقيدته، فإن جذور تلك الاعتقادات لا تزال باقية ولا يزال قسم من البشر يحتفظ بأضول العقائد الأولى وبصفات التفكير القديم كما يوجد الآن قسم من البشر يحتفظ بعادات وأشكال البشر القديم.

فالصابئة وان أدخلت على معتقداتها بعض التعاليم الحديثة فانها من تلك المعتقدات التي كانت في الدور الأول للتفكير البشرى لأن تأليه الكواكب وعبادة النجوم والنظر اليها كمظاهر ذات أثر وذات إدراك، من المعتقدات التي لم تنشأ الا في العصور الغابرة الا ان في بعض الأقوام خاصية الاحتفاظ بالتقاليد والعادات أو بالأراء والمعتقدات ، وهذا ما نراه في أصول ديانة الصابئة وفي تعاليمهم .

أدوار الديانة الصابئية

١ - الصابئة في الدور الاول

لاشك في أن الديانة التي سادت العالم في الأعصر الأولى كانت هي (الديانة الطبيعية) أي عبادة مظاهر الطبيعة. وكان للاجرام السماوية بين تلك المظاهر المقام الأول والقدح المعلى ، فكان البشر الأول رغم دخوله في دور الحضارة وتأسيسه أصول المدنية ، لا يزال في ديانته يمثل عصر ما قبل التاريخ. فلم تخل حضارة البابليين والمصريين القدماء والفرس وحتى اليونان - على تأخرهم - من تأليه مظاهر الطبيعة وتقديس الاجرام العلوية .

وإذا اعتبرنا أن ديانة الصابئة هي عبادة الكواكب والنجوم فلا شك انها أقدم ديانة عرفها البشر في عصر التاريخ. أما أصول

هذه الديانة فهي الاعتقاد بتعدّد القوى المدبرة لهذا الكون ووجود قوة أعلى تهيم على هذه القوى وتديرها . أما هذه الهياكل التي يقيمونها في الأرض وتلك المظاهر والطقوس التي يأتون بها في فروض عباداتهم، فكلها وسائط تقربهم من تلك الأجرام التي حلت فيها القوة . فشكل الكواكب إذا نقش على خاتم، وهندسة البيت إذا بنى على شكل خاص، والحضور إلى الهيكل أو البيعة في أوقات معينة، والتوجه لدى تلاوة الأسماء وتمجيد الآلهة إلى جهة خاصة، كل هذه مما يقرب الانسان من مصدر القوة الأعلى .

هذه هي أصول ديانة الصابئة في دورها الأول وقد بقي بعد تطوّرها طيلة هذه الأعصر شيء من تلك الأصول يوجد في عبادة الصابئة الحاليين من تعظيمهم للكواكب والنجوم ولا سيما الكواكب السيارة السبع . أما النجم القطبي فله مقام ممتاز عندم فهو القبلة التي يتجه إليها في كل فرض وطقس يقوم به المتدين . وكل الشعائر إذا لم يتوجه بها إلى هذا الكواكب فليست بمقبولة . فالهيكل إذا بنى، وجب جعل بابه مستقبلاً له بحيث يكون الداخل إليه مستقبلاً هذا النجم وبحيث تكون الشعائر التي تؤدى فيه متجه بها إلى جهته تبركاً بطلعتة وتيمناً بما له من خواص .

وكان هذه الميزة التي امتاز بها هذا الكواكب انما جاءته من جهة ثباته وبقائه في موضعه دون أن يغيب عن كبد السماء في كل

ليالى الفصول . ومعلوم ما للمظهر الطبيعي من الأثر - ولا سيما على البشر الأول - فى تكوين العقيدة . ولكون الكواكب الأخرى تغيب عن كبد السماء فى بعض الفصول وتظهر فى الفصول الأخرى فقد جاءت بعد النجم الثابت فى الدرجة . أما الشمس والقمر فانهما وان كانا مستمرين فى الظهور ، إلا أن ما يطرأ عليهما من الانتقال من برج إلى برج ومن النقصان والسكالم ومن الخسوف والكسوف ؛ كان يفقدهما صفة الثبات التى امتاز بها الكوكب القطبى .

٢ - الصابئة فى الدور الثانى

يكاد يكون تاريخ ديانة الصابئة تاريخاً عاماً للأديان الأخرى فان السنن التى تمشت عليها هذه الديانة والتطورات التى تطورت بها توجد بارزة فى سنن وتطورات سائر الأديان .

وغريب أن يذهب البعض إلى القول بأن الصابئة انتقلت من دورها الأول إلى دورها الثانى مباشرة ومن دون عملية تطور . ولا يستطيع الباحث المنقب مهما ساعدته المصادر أن يقف على حلقات الانتقال من الدور الأول فى عبادة الأجرام إلى الدور الثانى فى عبادة الأصنام والرموز والأوابد وكل ما يعرفه التاريخ ، إن الصابئة بعد مرور عصور طويلة ؛ أصبحت تبنى الهياكل

وتسميها بأسماء الكواكب وتقيم في وسطها التماثيل وتبنى على المرتفعات العالية الأوابد والرموز .

أما الأسباب التي دعت إلى هذا الانتقال فهي مما تساعد عليه عوامل التطور ويقتضيه تقدم البشر في الحضارة . فالفكر وسائر وجودات الانسان الأخرى تتمشى في سوية واحدة وتتطور على نسق واحد .

وقد فطن (المسمودي) المؤرخ الشهير إلى هذا المعنى فذكر قائلاً « أقام الصابئة على عبادة الأجرام برهة من الزمان وجملة من الأعصار حتى نبههم بعض حكمائهم إلى أن الأفلاك والكواكب أقرب الأجسام المرئية إلى الله تعالى وأنها حية ناطقة وان الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله وأن كل ما يحدث في هذا العالم فانما هو على قدر ما تجرى به الكواكب على أمر الله فعظموها وقربوا لها القرايين لتتفهم فكشوا على ذلك دهرًا طويلًا . فلما رأوا الكواكب تختفي بالنهار وفي بعض أوقات الليل لما يعرض في الجو من السواتر ، أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلوا لها أصنامًا وتماثيل على صورها وأشكالها فجعلوا لها أصنامًا وتماثيل بعدد الكواكب المشهورة وكل صنف منهم صار يعظم كوكبًا منها ويقرب له نوعًا من القران خلاف ما للآخر . على أنهم إذا عظموا ما صوروا من الأصنام ، تحركت لهم الأجسام

العلوية السبعة بكل ما يريدون فبنوا الكل صنم بيتاً وهيكلًا مفرداً
وسموا تلك الهياكل بأسماء تلك الكواكب « اه .

أما الرموز فكانت عبادة ترمى إلى إظهار الأجسام العلوية
بأجسام طبيعية سفلية فالنار والماء والهواء مما يرمز به إلى تلك
الكواكب لأنها صادرة منها ومن هنا جاءت عبادة النار واستقلال
بها فروع من الصابئة دعى بعد ذلك (بعباد النار أو الجوسية) .

ولا يزال الصابئة الحاليون يقدسون مظاهر الطبيعة ويرون في
النار والشهب والرعد والبرق وسائر الظواهر الجوية رمزاً يعبر عن
إحدى تلك الكواكب ، وقد تخيلوا لتلك الأجرام العلوية أشكالاً
خاصة نحتوا على صورها الأوابد والتماثيل المقامة في الأماكن
المرتفعة فكان لكل نجم صورة ولكل كوكب تماثيل خاص يمثله
في أدوار ظهوره وهكذا ظلت الأوابد والتماثيل الخالدة تعبر لنا
عن تفكير البشر الأول في خالقه وتصوره للقوة المدبرة .

٣ - الصابئة في الدور الثالث

بدأ هذا الدور باستقرار ديانة الصابئة ودخولها ضمن الكتب
والأسفار واعتناء الكهنة بدراستها وتدريسها فكانت وكان فيها
مجال واسع للنظر والبحث والفلسفة والتعليل شأن كل ديانة
تستقر وتستمر .

والذي يظهر من تتبع التاريخ ، أن هذا الدور كان دور تعليل

وتحليل لأصول الديانة. وكان لا تقطع الرهبان إلى الدراسة والعبادة، شأن في إدخال الآراء الفلسفية على تعاليم الدين. أضف إلى ذلك أن العلم والبحث في ظواهر الكون، كان من جملة ما تدرسه المدرسة الأولى وما تعنى بالبحث عنه فكان لزاماً أن يتأثر الدين بالفلسفة وان تظهر التعليلات النظرية في المعتقدات الدينية ولا سيما وأن الفلسفة في تلك العصور لم تكن في مبادئها علمية بحتة بل كان للدين تأثير عليها فكان مما لا بد منه أن تصبح الفلسفة دينية وأن يصبح الدين فلسفة.

فتعاليم الصابئة في هذا الدور تأثرت نوعاً ما بهذا النوع من الفلسفة وكانت الابحاث فيها تدور عن حقيقة التمثيل والقوة وعن قابلية الكواكب واستعدادها وعن التأثيرات الكونية وعلاقتها بهذه الكواكب وعن خواص الأسماء والحروف وعن مبداً العالم ومنتهاه.

كل هذه الأشياء كانت مما يبحث عنها. ولكن علما لم تكن علمية بحتة نظراً لبداية البشر في فهم الكون انما كانت كل التعليلات دينية تربط بخالق القوة وبإشاءته. فالشكل المربع مثلاً في نظره اذا كتب في ساعة معينة من ساعات النهار أو الليل بحروف خاصة لكوكب من الكواكب السيارة، أصبح ذا أثر في الخارج.

أما السبب في هذا الأثر وفي هذه القوة التي ظهرت في المربع فستند في نظرهم الى ما منح الله ذلك الكوكب من قوة التأثير وهكذا كانت تعلق كل أصول الدين وأسراره .

ويمكننا من دراسة تاريخ بعض الأديان أن نعرف الأدوار التي ظهر فيها بعض الأنبياء فزمن الخليل الذي جاء ذكره في القرآن الكريم وطرق استدلاله ومحاججته ، يبين بوضوح أنه جاء في زمن الفلسفة الدينية أي الدور الثالث للديانة الصابئية .

ولم تنج هذه الديانة كغيرها من التأثير بالفلسفة اليونانية التي جاءت بعد ان نضجت الفلسفة وحاولت الاستقلال عن الدين فقد أدخل الصابئون كثيرًا من الآراء الفلسفية اليونانية في تعاليمهم وقد يكون هذا التجدد في نهاية الدور الثالث الذي دعى بعد ذلك بدور الفلسفة .

٤ - الصابئية في الدور الرابع

كان للانقلاب الأخير الذي حدث قبيل المسيح (ع) وما جاء بعده من التطورات الدينية ، أثر يّين في سائر الديانات الأخرى ، وكانت فكرة ظهور مجددٍ للغاية العامة ، متغلغلة في نفوس أصحاب كل دين . فقد مال الصابئية الى الاعتقاد بأن يوحنا المعمدان هو الرجل المجدد المنتظر فاعتقدوا به وعظموه ولا يزال الصابئية حتى الآن يذكرون له بعض التعاليم ويعتقدون به كني مجدد .

ومن الخطأ الاعتقاد بأن الصابئة قد انقرضت منذ ظهور المسيح
(ع) وأن المعتقدين بها قد اندمجوا في الديانة النصرانية اذ لا يزال
القسم الكبير من الصابئة الحاليين يعتقدون بأصول المعتقد الأول
الذى يرمى الى تقديس الكواكب وتأليه النجوم .

فرق الصابئة

أهم ما يلزم الباحث عند ما يريد أن يجزى نقاط مبحث أو
ينظر في أقسام موضوع، هو ان يبعث نظرة اجمالية في ذلك المبحث
أو الموضوع ويكون للقارىء فكرة عامة عن منشأ ذلك التجزؤ
والتقسيم .

ومن الصعب جداً أن نتوصل بصورة تاريخية إلى الأزمنة
التي تفرّعت فيها الأديان وتجزأت فيها المذاهب ولكن ذلك
لا يمنعنا من الدخول في موضوع الصابئة وأمثالها من الأديان القديمة
الكبرى، ولا يمنعنا أيضاً من البحث عن فرقها التي تفرّعت عنها .
ولئن كانت لفظة الصابئة عامة تتناول بحسب مفهومها قسماً
واحداً من المتدينين بهذا الدين، إلا أن البحث التاريخي يدلنا على
فرق متعددة ومذاهب متشعبة تندمج كلها تحت هذا الاسم
ويجمعها جامع هذا المفهوم على ما بينها من اختلاف في العقيدة
والفروع وعلى ما أصابها من تطور في الزمان والمكان .

وقد تطرق العلماء والمحدثون إلى تقسيم الصابئة وبيان الفرق التي نشأت منها وعرفوا كل قسم بما له من معتقد وبما يمتاز به من عبادة وما يقطنه من مكان . إلا أن القسم الأغلب من أولئك الباحثين كان معتمداً في بحثه على غيره وكان ناقلاً مجرداً غير متبحر ولا متوغل . ولعل أحسن من توسع في هذا البحث وبين الفرق الصابئية مستنداً إلى العقل والنقل هو الامام أبو الحسن علي بن محمد المكنى بأبي علي بن سالم التغلبي الفقيه الأصولي الملقب سيف الدين الآمدي المتوفى عام ٦٣١ هـ . فقد ذكر في كتاب خطي له يدعى (كتاب أبقار الأفكار) ان أشهر فرق هذه الملة أربع وهي: -

الفرقة الأولى

أصحاب الروحانيات : وقد يقال ذلك بالرفع أخذاً من الروح وهو جوهر . وقد يقال بالنصب وهو حالة خاصة به . وقد زعم هؤلاء ان أصل وجود العالم يتقدم عن سمات الحدث وهو أجل وأعلى من أن يتوصل إلى جلاله بالعبودية له والخدمة من السفليات وذوات الأنفس المنغمسة في عالم الرذائل والشهوات وانما يتقرب إليه بالتوسطات بينه وبين السفليات وهي أمور روحانية مقدسة عن المواد الجرمانية (نسبة إلى الجرم) والقوى الجسمانية والحركات المكانية والتغيرات الزمانية في جوار رب العالمين . مجبولون على تقديسه وتمجيده وتعظيمه دائماً وسرمداً . قالوا وهم آلهتنا وأربابنا

ورسائلنا إلى حاجتنا وبهم يتقرب إلى الله تعالى . وهى المدبرة
للكواكب الفلكية والمدبرة لها على التناسب المخصوص حيث
يتبعها انفعالات فى العناصر السفلية . وحركات بعضها إلى بعض
وانفعال بعضها عن بعض عند الاختلاط والامتزاج المفضى إلى
التركيب الموجب لتنوع المركبات إلى أنواع المعادن والنباتات
والحيوانات وتصريف موجودات الأعيان من حال إلى حال ومن
شأن إلى شأن إلى غير ذلك من الآثار العلوية والسفلية .

وزعموا أن الكواكب الفلكية هى هياكل هذه الروحانيات
وان نسبة الروحانيات اليها فى التقدير لها والتدوير ، نسبة الأنفس
الانسانية إلى أبدانها وان لكل روحانى هيكلًا يخصه ولكل هيكل
فلكاً يكون فيه . وزعموا ان المعروف لهم (غارميون وهرمس)
الذان هما أصل علم الهيئة وصناعة النجامة . وهرمس هو أول من قسم
البروج ووضع أسماءها وأسماء الكواكب السيارة ورتبها فى بيوتها
وبين الشرف والوبال والأوج والحضيض والمناظر والتثليث
والتسدیس والتربيع والمقابلة والمقارنة والرجوع والاستقامة والميل
والتعديل . واستقل باستخراج أكثر الكواكب وأحوالها .
وقيل ان غارميون هو شيت وهرمس هو ادريس (ع)

الفرقة الثانية

أصحاب الهياكل : فانهم قالوا إذا كان لا بد للإنسان من متوسط

فلا بدّ من أن يكون ذلك المتوسط كما نشاهده ونراه حتى نتقرب إليه . والروحانيات ليست كذلك فلا بدّ من متوسط بينها وبين الانسان . وأقرب ما إليها هي الآلهة والأرباب المعبودة والله تعالى رب الأرباب وإليه التوسل والتقرب . فان التقرب إليها ، تقرب إلى الروحانيات التي هي كالأرواح بالنسبة إليها . ولا جرم انهم دعوا إلى عبادة الكواكب السبعة السيارة ثم أخذوا في تعريفها وتعريف أحوالها بالنسبة إلى طبائعها وبيوتها ومنازلها ومطالعها ومغاربها واتصالاتها ونسبتها إلى الأماكن والأزمان والأيام والساعات وما دونها إلى غير ذلك . ثم تقربوا إلى كل هيكل وسألوه بما يناسبه من الدعوات فيما يناسبه من الأماكن والأزمان واللباس الخاص به والتختم بالخاتم المطبوع على صورته . والهياكل عندهم أحياء ناطقة بحياة الروحانيات التي هي أرواحها ومتصرفة فيها . ومنهم من جعل هيكل الشمس رب الهياكل والأرباب . وهذه الهياكل هي المدبرة لكل ما في عالم الكون والفساد على ما سلف ذكره في تعريف مذهب الفريق الأول . وربما احتجوا على وجود هذه المدبرات وانها أحياء ناطقة بأن حدوث الحوادث اما أن يكون مستنداً إلى حادث أو قديم ولا جائز أن يكون مستنداً إلى حادث إذ الكلام فيه كالكلام في الأول والتسلسل والدور محالان فلم يبق إلا أن يكون مستنداً

إلى ماهو في نفسه قديم وذلك القديم اما أن يكون موجباً بذاته أو بالاختبار. فان كان الأول ، فاما أن يكون كل ما لا بد منه في إيجاد الحوادث متحققاً معه ، أو انه متوقف على تجدد . فان كان الأول فيلزم قدم المعلوم والقدم علته وشرطه محال . وان كان الثاني ، فالكلام في تجدد ذلك الأمر . كالكلام في الأول وهو تسلسل . فلم يبق الا أن يكون فاعلاً مختاراً وليس في عالم الكون والفساد فاعل قديم مختار إلا الأفلاك والكواكب ولذلك حكموا بكونها أحياء ناطقة .

الفرقة الثالثة

أصحاب الأشخاص : وهوؤلاء زعموا انه إذا كان لا بد من متوسط مرئي فالكواكب وان كانت مرئية ، إلا انها قد ترى في وقت دون وقت لطلوعها وأفولها وظهورها وصفولها نهاراً فدعت الحاجة إلى وجود أشخاص مشاهدة نصب أعيننا تكون لنا وسيلة إلى الهياكل التي هي وسيلة إلى الروحانيات التي هي وسيلة إلى الله تعالى . فاتخذوا ذلك أصناماً وصوراً على صور الهياكل السبعة . كل صنم من جسم مشارك في طبيعته لطبيعة ذلك الكوكب ودعوه وسألوه بما يناسب ذلك الكوكب في الوقت والمكان واللبس والتختم بما يناسبه والتعيز المناسب له على حسب ما يفعله أرباب الهياكل إلا أنها هي المعبودة على الحقيقة . وهذا هو الأشبه بسبب اتخاذ الأصنام .

ويحتمل أن يكون اتخاذ الأصنام بالنسبة إلى غير هذه الفرقة وتعظيمها لاتخاذها قبلة لعبادتهم أو لأنها على صورة بعض من كان يعتقد فيه النبوة والولاية تعظيماً له . أو لأن قدماء أرباب الهياكل والأصنام وعلمائهم ، ركبوا فراغ طلاسهم ووضعوها فيها وأمرهم بتعظيمها لتبقى محفوظة بها . وإلا فاعتقاد الألوهية فيما اتخذوه صوراً من الأخشاب والأحجار وكونه خالقاً لمن صورّه ومبدعاً لما وجوده قبل وجوده من العالم العلوى والسفلى ، مما لا يستجيزه عقل عاقل . بل البدهاة شاهدة برده وإبطاله وان وقع ذلك معتقداً لبعض الرقاع (كذا) ومن لا خلاق له من العوام منهم ، فلا يلتفت إليه ولا معول عليه .

الفرقة الرابعة

الجلولية . (وقد سماها ابن بطوطه وغيره من ثقات المؤرخين بالحرانية وهو الأصح عندنا) وهؤلاء زعموا ان الآله المعبود واحد في ذاته وانه أبداع أجرام الأفلاك وما فيها من الكواكب وجعل الكواكب مدبرة لما في العالم السفلى فالكواكب آباء أحياء ناطقة والعناصر أمهات وما تؤديه الآباء إلى الأمهات ، تقبلها بأرجامها فتحمل من ذلك المواليد وهى المركبات والآله تعالى يظهر في الكواكب السبعة ويتشخص بأشخاصها من غير تعدد في ذاته وقد يظهر أيضاً في الأشخاص الأرضية الخيزة الفاضلة وهى ما كان

من المواليد وقد يتركب من صفو العناصر دون كدرها واختص بالمزاج القابل لظهور الرب تعالى فيه، إما بذاته وإما بصفة من صفات ذاته على قدر استعداد مزاج ذلك الشخص . وزعموا ان الله يتعالى عن خلق الشرور والقبايح والأشياء الخسيسة الدنيئة كالحشرات الأرضية ونحوها بل هي واقعة ضرورة اتصالات الكواكب سعادة ونحوسة واجتماعات العناصر صفوة وكدورة. وزعموا أيضاً أنه على رأس ستة وثلاثين ألف سنة وأربعمائة وخمس وعشرين سنة يحدث روحاني على رأس الدور الآخر وكذا إلى ما يتناهى ، وان الثواب والعقاب على أفعال الخير والشر كل دور وافع لكن في الدور الذي بعده في هذه الدار لافي غيرها.

الفرق بين فرق الصابئة

لعلّ التقسيم الذي ذكرناه للآمدى كان فيما يخص الصابئة على الأطلاق وفي مختلف عصورها . أما بحثنا الآن في التفريق بين فرقها ، فانما يعنى الصابئة الموجودة الآن والتي نوه عنها الأقدمون وذكروها القرآن الكريم .

ومن المتعذر جداً أن يتوفق الباحث إلى معرفة ما بين هذه الفرق من الرابطة . فقد ذكر القرآن الكريم قسماً من الصابئة

وفسرهما المفسرون بعد أن نسبوا لها أصولاً وتقاليد تختلف كثيراً عن الصابئة الحرانية التي سيجبىء البحث عنها . كما ان هذين القسمين من الصابئة يختلفان كثيراً عن صابئة البطائح المبتوثين الآن في مدن العراق النهرية . والحق ان كل فرقة من هذه الفرق تختلف في أصول معتقداتها عن الأخرى إختلافاً واسعاً . فقد سكن الصابئة الذين ورد ذكرهم في القرآن ، بلاد العرب ومصر قبل الاسلام وقبل النصرانية واليهودية، وقد اتقرضوا وعفت أخبارهم فأصبح من المتعذر علينا بيان معتقدم بالتفصيل . ولهذا فسقتصر بحثنا على القسمين الأخيرين من الصابئة ، أى الحرانيين وصابئة البطائح مع العلم بأن كلا من هذين القسمين قد أخذ الشيء الكثير ممن تقدمه من الصابئة الذين ذكرهم القرآن المبين ومع العلم بأن الجميع قد عبدوا الكواكب وأهلّوا النجوم .

الصابئة الحرانية

جاء في ص ٣٢٠ من الفهرست لابن النديم أبي الفرج محمد بن اسحق بن محمد بن اسحق الوراق البغدادى المتوفى عام ٣٨٥ هـ (طبعة أوربا) ماملخصه : —

قال أبو يوسف ايشاع القطيعى النصرانى في كتابه في الكشف عن مذاهب الحرانيين المعروفين في عصرنا بالصابئة : إن الخليفة العباسى المأمون اجتاز في آخر أيامه بديار مضر (قرب ديار بكر) فاصدأغزو الروم فتلقاء الناس يدعوون وكان بينهم جماعة من الحرانيين

وكان زيّهم إذ ذاك لبس الأقيية وشعورهم طويلة جداً ، فأنكر
المأمون عليهم زيّهم وسألهم قائلاً من أنتم ؟ فقالوا نحن الحرّانية .
فقال أنصارى أنتم ؟ قالوا لا . قال أفيهود أنتم ؟ قالوا لا . قال فمجوس
أنتم ؟ قالوا لا . فغضب المأمون وقال أفلكم كتاب أم نبى ؟ فجمجموا
في القول . فقال لهم فأنتم إذا الزنادقة عبدة الأوثان وأصحاب الرأس
في أيام والدى الرشيد وأنتم حلال دماءكم ولا ذمة لكم . فقالوا
نحن نوّدى الجزية . فقال المأمون اما تؤخذ الجزية ممن خالف
الاسلام من أهل الأديان الذين ورد ذكرهم في القرآن ولستم من
هؤلاء فاختروا أحد أمرين : إما أن تنتحلوا دين الاسلام ، أو ديناً
من الأديان التي ذكرها الله في كتابه ، وإلا قتلتم عن آخركم
وقد أمهلتكم حتى عودتى من سفرى . فخاف الحرّانيون على حياتهم
وأسلم بعضهم وقص البعض الآخر شعره وصاروا في اضطراب
عظيم . ثم راجعوا شيخاً فاضلاً وفتياً كبيراً من فقهاء حرّان وسألوه
عن تدبير لهم فقال لهم الشيخ لا تخافوا ولا تضطربوا فاني أوصلكم
إلى طريق النجاح . فجمعوا له مالاً كثيراً وصاروا يراجعونه
في كلّ يوم حتى قال لهم في آخر الأمر (إذا رجع المأمون من
حربه وسألكم عن دينكم فقولوا له نحن الصابئون فهذا اسم دين
قديم قد ذكره الله في كتابه فاتحلوه وأنكم لناجون) .
واتفق ان المأمون مات في سفره هذا (عام ١٢٨ هـ) وكان

الحرانيون قد انتحلوا هذا الاسم من ذلك الوقت، ولم يكن بحرّان يومئذ قوم يعرفون بالصابئة. ثم رأى المسلمون أن يعقبوا خطة المأمون حتى جعلوا الحرّاني يتظاهر بالاسلام وإذا أراد الزواج تزوج بحرّانية من طائفته فاذا ولدت له زوجته ذكراً، جعله مسلماً. أما إذا ولدت له أنثى، جعلها حرّانية أى صبيّه بالمعنى الذى ألعنا إليه وهذه كانت سبيل أهل ترعوز وسامسين الفريتين المشهورتين بالقرب من حرّان إلى نحو ٢٠ سنة اه .

والذى يظهر من أسئلة المأمون لهؤلاء القوم الذين صادفهم فى سفره والذين لم يكن على علم بهم مع ما كان عليه من سعة العلم والاطلاع على مختلف الأديان والملل حيث كان يجتمع فى مجلسه العامي ورؤساء المذاهب والأديان والنحل على اختلافها، أنهم لم يكونوا فى بدء الأمر صابئة وليست لهم علاقة بالصابئة الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم، وانهم اضطروا إلى أن يستشيروا رؤساءهم وكهنتهم فى الأمر . ولو كانوا من فرق الصابئة لما أشكل عليهم الأمر ولما احتاجوا إلى أن ينتحلوا هذا الاسم انتحالاً .

على اننا نعرف من تاريخ الصابئة الحاليين الذين هم أقرب إلى الصابئة الأقدمين ، أنهم يعيشون على ضفاف الأنهر دجلة والفرات وأن لا أثر لديانة الصابئة فى حرّان ولا معبد لهم مقدس هناك وما شوهد من طقوسهم الدينية وطرز عبادتهم وانتسابهم

إلى الأرض التي يسكنونها دون العبادة التي يعبدونها ، كل ذلك يدلنا على أن الحرائية دين قديم أراد أصحابه البقاء عليه فانتحلوا له اسم الصابئة .

وقد نقلت دائرتا المعارف الانجليزية والافرنسية كلام ابن النديم على علته ونقله أيضاً كتاب ألماني ضخيم لم يحضرنا اسمه فلم يناقشوه مع ما عرف به الألمانيون وسائر المستشرقين من التخصيص والتدقيق ، فكانهم اكتفوا بهذا الكلام ولم يفرقوا بين ما ذكره القرآن من الصابئة وبين الصابئة الحرائية !

صابئة البطائح

يعيش بين ظهرانينا في العراق قسم من الناس لهم تقاليدهم وعاداتهم ولغتهم . ويكادون أن يكونوا ممتازين بكل مظاهر حياتهم وحتى بأشكالهم وسحنة وجوههم ويطلق عليهم اسم (الصابئة) وقد يكون هؤلاء هم الصابئة الأصليون وقد لا يكونون . إلا أن الشيء المحقق هو أن قسماً كبيراً من عبادة الصابئة القديمة وطقوس دينهم ؛ بارزة بين معتقدات وطقوس هؤلاء القوم . فعبادة النجوم واستقبال نجم القطب وتأليه الكواكب وغير ذلك من أصول الدين الصابئي مما يتدين به هذا المجموع الممتاز .

وقد يتعرف الباحث من اللغة التي يتكلم بها هؤلاء ومن إسبابهم شعور لحام وروؤوسهم ، أنهم شعب غريب نرح إلى هذه

البلاد واستوطنها واحتفظ بما له من تقاليد وعادات والتزم بالسكنى على ضفاف الأنهر وبقرب المياه الجارية نظراً لما يقيمه من الطقوس التي لا تتم إلا بالارتعاش في الماء الجارى (وسيأتى تفصيل ذلك) لذا عرف هذا القسم من الناس بصابئة البطائح نسبة إلى بطائح العراق المشهورة .

أما ان هذا الشعب قد انحدر من الصابئة الحرائية أو أنه من بقية الصابئة الأقدمين ، فأمر مشكوك فيه وموكول إلى فحص التاريخ الدقيق .

ونظن أن أحسن رواية - وقد تكون أقربها إلى الحقيقة - هي التي أثبتها الهنرى يونيون في كتابه الافرنسى الموسوم بـ (الرقم المندائية) المطبوع في عام ١٨٩٨ فقد جاء في ص ٢٢٤ منه تحت عنوان (الفرقة الدستائية) وهي المندائية التي اشتهر بها الصابئة الحاليون مامضونه: ان صاحبها (أى صاحب هذه الفرقة) كان متسولاً وقد جاء من بلاد ما بين الزابين إلى ميسان (أى جنوبى العراق) للتسول وكان مسيحياً اسمه (دبدا) واسم أمه (أم كسطا) ثم توطن ضفاف نهر قارون وأسس ديانة جديدة وعقائد مأخوذ معظمها من المارقيونيين والمانويين والكنديين وغيرها من الفرق الصابئة، ثم توسعت هذه الطائفة على ممر السنين وسموا بالصابئة المغتسلة لأن جميع طقوسهم الدينية لا تتم إلا بالاغتسال في الماء الجارى اه .

والذي يؤسفنا كثيراً ويجعل تاريخ الصابئة مفصلاً وغير مرتبط الحلقات، خلو هذا التلخيص من الزمن الذي يعين قدوم (دبدا) إلى جنوبي العراق (ميسان) الأمر الذي يوقفنا على تاريخ منشأ صابئة البطائح والصلة بينهم وبين الصابئة الحرائية . ومع ذلك فهو لا يخلو من فائدة تاريخية تكشف لنا عن تاريخ غامض من تاريخ الصابئة .

عقائد الصابئة وطقوسهم

كانت المعلومات المتقدمة مقصورة على التفريق بين الصابئة قديماً وحديثاً وعلى بيان فرقهم ومنشأ ديانتهم من وجهة تاريخية بحثية . أما ما سندخل فيه الآن ، فهو البحث في عقائدهم وطقوسهم الدينية ، وربما كان في دراسة العقائد والطقوس على ما هي عليه من التقطع والخبط والخلط ، الشيء الكثير من الفوائد التاريخية . وربما كان تعرف الباحث بوجهة النظر الدينية ، يوصله إلى أزمنة التاريخ وإلى تحديد العصور التي تمر بها الأمم المتدينة بذلك الدين ، وما بأيديهم من المعتقدات إنما هو مجموع ما يتدين به صابئة البطائح اليوم .

وقد علمنا أن في طقوس هؤلاء وآدابهم الدينية الشيء الكثير من ديانة الصابئة الأقدمين ومع ذلك فسنضطر في بحثنا إلى ذكر

الشيء القليل مما توصلنا اليه من عقائد الصابئة الحرائية التي نرى أن هناك فروقاً جوهرية تستدعى إفرادها بالذكر وتعيينها من بين مواضيع البحث .

أما مصادر ما سنذكره فتتخصر في التحريّات الشخصية والنقل عن ما دبحته أقلام مشاهير الكتاب والمؤلفين والمؤرخين وكله مما تطمئن اليه النفوس اطمئناناً دون أن نعص عليه بضرس اليقين القاطع ، نظراً لما بين تلك المباحث والآراء من التباين العظيم ، وكفى أن يكون ما نكتبه في هذا الموضوع خدمة تاريخية بذلنا فيها الجهد وأفرغنا فيها الوسع فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

فكرة الخالق و بدء الخليقة

١ - فكرة الخالق : تعتقد الصابئة بأن الخالق واحد أزلي لا أول لوجوده ولا نهاية له . منزه عن عالم المادة والطبيعة وهو علة وجود الأشياء ومكونها .

ولا يكاد يختلف اعتقادهم في الخالق عن اعتقاد المساميين فيه الا انهم افترضوا له صورة معنوية خلق آدم على نموذجها كما سيبحث عنه في ذلك .

٢ - بدء الخليقة : كان المخلوق الأول لله ، شخصاً روحانياً

يدعى (هَيّ قديمايا) أى « الحى القديم » وقد خلقه الله وخلق معه عوالم كثيرة مملوءة بالنفوس المقدسة التى لا تحصى . ثم خلق الحى الثانى (هَيّ تنيائى) أى « المخلوق الثانى » وخلق معه كذلك عوالم لا تعدّ مملوءة بالنفوس المقدسة . ثم خلق (هَيّ تليثائى) أى « المخلوق الثالث » وخلق معه ما خلق مع سابقيه . وهذه النفوس التى تقطن هذه العوالم ، ينقسمون بحسب رتبهم الى قسمين : عوام وملوك . ويقال للقسم الأول (انزى) وللقسم الثانى (ملكى) ثم خلقت عوالم سبعة تدعى (آلمى دهشوخا) أى عوالم الظلام التى تستمد نورها من الشمس وسكانها الآن ينقسمون الى قسمين : عوام وملوك ، وأرضنا من جملة هذه العوالم السبعة . أما هيئة الأرض فيرونها بشكل مربع وأنها ثابتة غير متحركة ولكن لها حركة خاصة وهى مقامة على هوائين ، هواء خارجى وآخر داخلى ، وتحت الأرض ماء انبسطت عليه . فلما أتم خلق الأرض ، أنزلت الملائكة من عوالم الأنوار ، بذورا للأشجار وفتحت طريقا للهواء ولما الحياة الذى تقوم عليه حياة الأجسام الحية والنامية وهو واسطة ارتباط العوالم بعضها ببعض ، وفتحت طريقا آخر للنور تستمد منه الشمس أشعتها لتنير بقية الكواكب بالواسطة .

وتتكون السماء من سبع طبقات تقع الشمس فى الطبقة

الرابعة والقمر في السابعة (وهي في نظرم الفريية منا) والأرض والسماء مركبان من مادتين هي النار والماء ومن هاتين المادتين تكوّنت الأرض والسماء. وكذلك جميع الكائنات الحية فانها مركبة من طبقتين الماء والنار ولكنها تمتاز بأربع طبائع أخرى وهي الصفراء والسوداء والبلغم والرطوبة.

ولهم كتاب خاص في علم تشريح جسم الانسان وتركيبه يدعى (تفسير پفره) وآخر في جغرافية الأرض وعلم الفلك يدعى (أسفر ملواشا) وبه يستطيع الكاهن أن يلمّ بما يحدث في الكون من الحوادث والتغيرات (انظر البحث في كتب الصابئة المقدسة).

الكون في نظر الصابئة

ان لنشوء فكرة السرّ والعلن عند الصابئة أثرًا في كثير من المعتقدات. فهم يرون أن لكل كائن وجودين : علني وسري ، وللكون أيضا وجودان كون سري ويسمونه (مشوني كسطه) وآجر علني ويدعوناه (أره تبيل) - أي الأرض التي تبلى - ويرون دائما أن للوجود السري امتيازاً على الوجود العلني . فالعالم السري قطر فسيح أكبر من العالم العلني الذي هو عالمنا المسكون وهو مستور عنا لا يمكننا أن نشاهده حال حياتنا، وله شرف المنزلة بالنسبة الى عالمنا فهو منه بمنزلة اليمين من الشمال . وهذا الاعتبار

(أى اليمين والشمال) يشاهد في كثير من تعابيرهم التى يقسمون بها الأشياء والموجودات .

أما سكان هذا العالم فهم بشر مثلنا الا أنهم صابئة منزّهون عن كل وصمة . ولا يخلو هذا العالم من الموت والفناء أيضاً بالبشر الذي فيه ، يموت كما نموت نحن الا أنه ينتقل الى عالم آخر يدعوونه (آلى دَنْهُورُو) - أى عالم الأنوار أو مقام النعيم - من غير أن يمر بموضع من مواضع العذاب . وهذا ما يقابل عالم الأرواح فى نظر المسلمين .

أما العالم الثانى أى (أره تىبل) فهو عالم الكون المادى المشاهد الذى يطرأ عليه الفناء وينتقل من فيه الى عالم الأنوار بحسب درجته .

ولما كان الوجود السرى مثالا للوجود العانى ، كان فى العالم السرى آدم مخصوص يدعى (كاسيا) - أى آدم المستور - وتدعى زوجته (كانات) - أى تامة الجمال - كما أن لعالمنا هذا آدم يدعى (آدم پنره) - أى آدم المادى - وتسمى زوجته حواء . ولأجل أن يتخلص الصابئة من قضية التزاوج بين الاخوة فى بدء الخليقة ، اضطروا الى القول بأن لكل من هذين الآدميين ابنة وولد فجمع بينهما (هيوه زيوه) - أى جبرائيل - فى العالم المنظور وزوج كلا من الولدين بأخت الآخر ليتم التناسل البشرى

على طريقة مشروعة . فالعامة من الصابئة تدعى وفقاً لهذه الاسطورة، انهم من اولاد آدم غير المنظور . أما علماء الدين فيرون خلاف ذلك لأنهم يستبعدون خروج الأشياء المنظورة المشاهدة في عالم غير منظور ومشاهد .

خلقة آدم

(كوره قدمايه) اسم لآدم (ع) أى أول الرجال أو (آدم بغيره) وقد أراد الله أن يخلق آدم على صورته فانزل (ابتاهيل) وهو ابن (هيوه زيويه) أى جبرائيل الى الأرض فخلق على صورة من التراب وخلق من ضلعه الأيسر زوجته (حواء) ثم أنزل الروح المقدسة في جسم آدم وزوجته، وعلم الملائكة آدم كل ما في الدنيا من صنائع وحرف ومهن وإجراء المياه ووضع عدد السنين والأشهر والأيام والأوقات وغير ذلك ، وأنزلت عليه الكتب المقدسة التي فيها فروض العبادة بأنواعها المختلفة . ثم أمر الله ملائكة النار بالسجود لآدم فسجدوا الا (هاديده) وهو إبليس فانه لم يسجد إذ قال خلقني الله من نار وخلق آدم من تراب فكيف أسجد له ؟ فطرده الله ولعنه . ثم جرى التناسل بين آدم وولده على نحو ما فصلناه في بحثنا عن (الكون في نظر الصابئة) ووضعوا للعالم تاريخاً قدره ٥٨٧٣٠٩ سنوات أسندوه الى أساطير لا يقرها عقل ولا يقبل بها منطق .

فكرة الخير والشر

فكرة الخير والشر من الفكر التي بحث فيها البشر بحثاً مستفيضاً في الأزمنة القديمة والحديثة. ولا تزال الآثار المستخرجة من بطون الأرض، ترينا تطور هذه الفكرة واختلاف نظر البشر إليها. إلا أن هذه الاختلافات والتطورات تنحصر في وجهات ثلاث. أحدها تقول بأن الله تعالى مصدر للخير والشر كما أنه خالق لهما وما العبد إلا آلة تصرفها الإرادة في الكمية لا حول له ولا قوة ولا اختيار وهذا مادعا المسمون بفكرة الجبر.

والثانية ترى أن فاعل الخير والشر هو الإنسان وأن الله مكوّن كل الأشياء والعبد يملك إرادة حرة واختياراً مطلقاً.

أما الثالثة فتفصل وترى أن الخير من الله والشر من الإنسان وللإنسان عقل يميز بينهما فله أن يعمل الخير وله أن يرتكب الشر. والصابئة ترى رأي الفريق الثاني أي أن الخير والشر موجودان من قبل الإنسان ويحدثان بفعله وإن إرادته الحرة واختياره المطلق هو الذي يجعله مسؤولاً أمام الله. وهم يرون أن الله قد بين للإنسان طريق الخير وطريق الشر فله الحرية المطلقة في إتيان ما شاء وترك ما يشاء.

الموت في نظر الصابئة

يعتقد الصابئة أن الموت انتقال لا فناء وانذار. فالروح بعد

أن تخرج من هذا العالم، لا تفنى ولا تنعدم وإنما تنتقل من عالم إلى آخر فتتصل بعالم الأنوار (آلمى دهورو) ان كانت طيبة وتبقى حية مخلدة في ذلك العالم متنعمة بأنواع الملذات . وتنتقل الى أنواع العذاب ان كانت خبيثة . وربما كان تعذيب هذه الروح بالباسها شكلا آخر واطهارها في جسم من الأجسام الذى يكون وجودها فيه عذابا وشقاء . فالعذاب فى نظرهم مهما كان نوعه ، إنما هو تطهير للروح من أدران الذنوب وهذا ما جمل لفكرة التناسخ عندهم أصلا .

أما المراسم التى تجرى للجنائز ، فتقام قبل خروج الروح من البدن . لأنهم يعتقدون بأن الروح لا تطهر اذا لم تخرج من بدن طاهر ولهذا وجب عندهم تغسيل الميت وتكفينه ساعة احتضاره لتخرج الروح من جسده وهو طاهر^(١) . فإذامات نجس وحرم مسه وأصبح من المتعذر تطهيره

(١) نادرة طريفة أقصها على القارىء الكريم :

كنت فى عام ١٩٢٢ طالباً فى دار المعلمين ببغداد وكان فى الدار المذكور شاب صائى يدعى « مسلم ضمد » من أهالى الناصرية . أصيب فى خريف ذلك العام بمرض الزائدة الدودية فأجريت له عملية مستعجلة ظن أهله أنها ستؤدى حتماً إلى وفاته . وبعد مضى خمسة أيام على العملية ، طلبت أمه إلى السلطة الصحية أن تسمح لها بأخذ ولدها لتطبيق المراسم الدينية له قبل أن ترزق روحه فيموت كافراً فلم تر السلطة مانعا فسمحت لها بأخذ المريض المحتضر ولكن ماذا عملت به أمه ؟؟

وبجرى مراسم نقل الميت ودفنه على وجه مخصوص فيحمل الجثة أربعة أشخاص من درجة (حلالى) وهم رجال مقدسون يلبسون لباساً خاصاً بنقل الأموات. أما شكل هذا اللباس فيكون أبيضاً ويشد الوسط بمنطقة من صوف، فيتقدمون بالميت الى مرقد الأخير بين الصمت والخشوع لأن البكاء والعويل محرمان على الميت وهم يعتقدون بأن كل دمعة تذرّفها العين على الفقيد، تكوّن نهراً كبيراً فى طريق نفسه تكاد تعجز عن قطعه. أما القبر فيكون بشكل مستطيل ويحفر عند رأس الميت حفرة صغيرة ضيقة يدخل فيها الميت الى صدره ويكون وجهه ورجلاه متجهتان نحو الجدى، ثم تصف الأحجار من صدره الى رجليه ثم تنهال الأتربة عليه

ولهم اسطورة يتناقلونها فى سبب وضع الحجارة على كفن

هذا سؤال غريب، وأغرب منه جوابه!

أخذت الوالدة ولدها إلى شاطئ الماء (دجلة) ورفعت الأربطة التي ضمدت بها جروح ولدها ثم بدأت تصب الماء البارد الجارى على القروح وهي داملة والولد يصيح ويستغيث فلم يجد مشفقاً عليه. وهكذا غسلوه وكفّوه وربطوه بالقصب فى انتظار زهوق روحه. وجاء أحد أساتذتنا فى المدرسة بعد أربع ساعات فوضع (آلة الترمومتر) على جلد الصبي من بين القصب ولاحظ أن درجة الحرارة أخذت بالتحسن فأخبر الأطباء بذلك فبادروا بالتضميد جروح « مسلم ضمك » من جديد وكانت النتيجة انه شفى بعد أيام قليلة واجتاز امتحان الدراسة فى تلك السنة بنجاح باهر فتأمل

الميت مباشرة. وهى أن كثيراً من آبائهم القدماء قد نبشوا قبور موتاهم فوجدوا أن أكتفائهم قد اجتمعت فى أفواهاهم وكان ذلك سبباً لموت أهل الميت من بعده بسرعة. فلأجل أن لا يسرع الموت الى أهل الميت ، توضع هذه الأحجار على صدره. أما وضع التراب عليه مباشرة فهى سيرة عمل بها (مندانى) لما انهال التراب على جسد يحيى (ع)

ومتى عاد المشيعون من مراسم الدفن ، أقاموا مأتماً لروح الفقيد فى أربعة أيام متفرقة وهى اليوم الأول للوفاة والثالث والسابع والـ٣٥ منه ، وعلى زوجة الفقيد أن لا تقص شعرها حداً على زوجها ، لأنها ترتكب بذلك ذنباً لا يغتفر . ومن مات فجأة يتقدم أحد علمائهم من درجة (كَنزوره) فىقوم بمراسم التكفير والتعميد لأن الموت فجأة يسبب اعتبار الميت كافراً كما لو كان قد مات بلا مراسم الجناز .

ما بعد الموت

فاذا مات الميت ، استقبل روحه ملكان يدعى أحدهما (صاوريل نشرويه) ويسمى الثانى (قاميرزيوره) وهما نقلة الأرواح فىحاسباه على عمله فى دنياه حسناً كان أم سيئاً . فان كان من أصحاب الأعمال الحسنى فان روحه تذهب إلى عالم الأنوار (آلى دنهورو) من أقرب طريق تقطع فيه العوالم السبع فى خمسة

وأربعين يوماً وتنتهي إلى الميزان الذي تشاهد نجماته في السماء
ولكن في عالم الأنوار فتوزن فيه الروح ثم يسمح لها بالدخول
في عالم الأنوار .

وأول روح وزنت في هذا الميزان في اعتقادهم ، هي روح
شيت بن آدم (ع) الذي مات قبل أبيه لأن الله تعالى طلب إلى
آدم أن يلبى دعوته فأبى وكان عمره إذ ذاك ألف سنة ، وطلب أن
يعيش ألف سنة أخرى . أما عمر ابنه شيت فقد كان ٨٠ سنة ولم
يكن ليتزوج وبذلك أصبح عمر البشر غير محدود . فيموت الطفل
الصغير والشاب غير المتزوج على ما هو جار عندنا اليوم .
ولو كان آدم قبل أن يموت عند ما طلب إليه الرب ذلك ،
لأصبح للبشر عمراً واحداً ينتهي إليه فيموت . أما إذا كانت
الروح خبيثة فتبقى في العذاب حسب ما تستحق .

وأنواع العذاب عندهم لا تقتصر على الإدخال في النار فحسب ،
بل هي تختلف أشكالها فتكون بالحبس في محل لا هواء فيه ، أو بضبطها
بين جبلين ، أو بتعذيبها في النار . فإذا خلصت من الذنوب وقطعت
العوامل السبعة في مدة تتناسب مع عذابها ، وصلت إلى الميزان
فتوزن فيه كسابقتها .

المعاد

المعاد هو الحياة الآخرة التي تحيي بها النفس في عالم الأنوار «آلى ذهورو» وتتعم بما يتعم به القديسون والروحيون هناك والناس كلهم صائرون إلى هذا العالم رأساً أو بعد تطهيرهم من خطاياهم بالعذاب المتناسب. أما هذه الأرض التي نسكنها فتعود بعد أن تفتى وتندثر هي وعوالم الظلمة التي تستمد نورها من الشمس.

ويختلف المعاد عند الصابئة عنه عند المسلمين بأن الأولين يرون أن المجازات والعقوبات تجري في عالم قبل عالم الآخرة. أما عند المسلمين فأنهم يرون أن العقاب والثواب يكونان في عالم الآخرة أيضاً كما هو في عالم البرزخ المتوسط.

الصوم عند الصابئة

لم تخل الشرائع القديمة من ذكر الصوم وفرضه ومن تعيينه بمدة معلومة. ففي آثار البابليين والمصريين القدماء، وفي الحفريات الكلدانية، ما يؤيد أن الصوم عبادة عرفها البشر منذ القدم. وقد جاء الإسلام مؤيداً فرض هذه الفريضة فقال الله تعالى في محكم كتابه المجيد (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) .

أما شريعة الصابئين، فنظراً لقدمها وانقطاع القاميين بها عن

دراسة العلوم والفنون، تكاد تذهب فيها بعض الطقوس، أو تتغير،
فبينما نجد ابن النديم المؤرخ يذكر لنا فرض الصوم عند الحرانية
من الصابئين حيث يقول عليهم — ص ٤٤٣ من الفهرست —
(والمفترض عليهم من الصيام ثلاثون يوماً أولها لثمان مضين من
اجتماع آذار وتسعة آخر أولها لتسع بقين من اجتماع كانون الأول
وسبعة أيام آخر أولها لثمان مضين من شباط وهى أعظمها . ولهم
تنفل من صيامهم وهى ستة عشر وسبعة وعشرون يوماً) ؛ إذ نجد
الصابئة الحاليين يحرمون الصيام فى طقوسهم الدينية ويرون انه
من باب تحريم ما أحلّه الله وان كانوا يتظاهرون به فى أول رمضان
مجاراة لمجاوريههم من المسلمين كما كان يفعل أبو اسحق الصائى مع
الشرىف الرضى . ونجدهم أيضاً يمتنعون عن أكل اللحوم ٣٦ يوماً
على نحو ما هو عند النصارى . وكل هذه المتناقضات فى عقائدهم
إنما جاءت اليهم من تفرقهم ومن جهل علمائهم بما يحدث فى الفنون
وما يصل اليه البشر من الاكتشافات والعلوم .

الصلاة عندهم

الصلاة عند المتدينين، رمز الخضوع والالتقياد لآراء الشريعة.
فالمصلى يؤدى بحركاته وأعماله، فروضاً اعتقادية تدل عليها تلك
الحركات والأعمال . وإذا كان الصوم قديماً وموجوداً فى شرائع
الأمم البائدة، فان الصلاة أقدم منه بكثير . فقد صلى البشر القديم

وانحنى أمام مظاهر الطبيعة حينما أرهبتته وأخافته وهو لا يزال حتى الآن ينحن تعظيماً واجلالاً أمام ما يتصوره من القوى في هذا الكون .

وقد تكون الصابئة من أشد الأمم محافظة على طقوسهم وعاداتهم. لذلك لا نستبعد أن تكون صلاتهم هي أول وضع عرفه البشر للصلاة وفي تأدية فروض العبادة .

أما هذه الأوقات التي خصصوها لتأدية الصلاة فهي تدلنا بوضوح إلى عبادة البشر الأولى التي كان يقدرس بها مظاهر الطبيعة. وتشتمل إقامة هذه الصلاة على مراسم وطقوس أضيفت عليها على توالي الأزمان تبدأ بالطهارة والاعتسال وتنتهي بتأدية الصلاة وإليك البيان : —

١ - الطهارة : لا تصح الصلاة عند الصابئة بدون طهارة شأنها عند بقية الأمم المتمدينة . وكما تمنع الجنابة من إتيان الصلاة ومن تأدية الفروض الدينية عندنا معاشر المسلمين ، كذلك تمنع عندهم من تأدية الصلاة . أما غسل الجنابة فمشرط عندهم أن يكون بالماء الحي ، وهو الماء غير المقطوع من مجراه الطبيعي فإما الحمام مثلاً في نظرهم ، ليس بحى لا تقطاعه عن مجراه . أما كيفية الغسل فهي عبارة عن الارتماس في الماء الحي من دون تلاوة أى شيء . ولكن الغسل وحده لا يكفي عندهم فلا بد من ضم الوضوء

اليه وهو يجري عقب الغسل بأوضاع خاصة .

٢ - الوضوء : يجاس المتوضىء على ضفة النهرو يتلو الرخصة

(النية) بلغتهم المندائية ثم يغسل يديه حتى المرفقين ويعقبها بغسل وجهه ثم عورته ثم ركبتيه وكل ذلك ثلاثاً . ثم يمسح جبينه وأذنيه وأنفه ويتلو في كل ذلك أدعية وتلاوات خاصة . ثم يدخل رجله اليمنى في الماء ثم اليسرى ويتلو خلال ذلك هذا الدعاء (بشميهون أو هي بولى أسوتا وزكوتا نهويلك يا أب ابو هن ملكا ميريا ويس بردناربا آدمياهي) ومعناه (السلام عليك أيها الماء الجاري من تحت عرش الرب الذي يحيى بك كل من في الأرض) .

أما مفسدات الوضوء فهي ؛ عبارة عن رصف الأنف ، أو خروج الدم من الفم أو لمس لحم أجنبي أو خروج ريح . كل هذه تفسد الطهارة وتوجب اعادتها والوضوء واجب لكل صلاة .

٣ - الصلوة : أما صلاتهم فانها تقتصر على الوقوف والركوع

والجلوس على الأرض بلا سجود وتستغرق تلاوة الأذكار فيها ساعة وربع ساعة وتؤدي ثلاث مرات في اليوم الواحد قبيل طلوع الشمس وعند زوالها وقبيل غروبها .

وتبدأ الصلاة بالأذان وهو عبارة عن أذكار مندائية تتلى

بين الحاضرين بدون رفع صوت أو وقوف على محل شاهق كما يفعل المسلمون . ويتوجه المصلى عندهم الى جهة الجدوى

رافعاً يديه وقليلاً من رأسه مع انحناء قليل بلباس خاص يدعى (الرستة أو السيففة) وهي منطقة تشد على الوسط . ثم يتلوسبع قراءات يعجد فيها الرب ويدعوه بأسمائه الحسنى ويستمد منه العفو والشفاء من الأمراض ورفع الكوارث عن قومه وطلب الاتصال بعالم الأنوار .

وترى الصابئة ان فرض الصلاة كان أولاً على آدم أبي البشر بسبعة فروض يصلى منها خمسة فى الأوقات التى يؤدى فيها المسلمون صلاتهم واثنتان فى غير هذه الأوقات . إلا أن شريعة آدم قد استمرت الى أن جاء يحيى (ع) فذسخها بشريعته وجعل الصلاة ثلاثة فروض فى ثلاثة أوقات كما هى اليوم عندهم .

هذه هى صلاتهم فى الوقت الحاضر . وقد ذكر ابن النديم فى فهرسته ، نوعاً من الصلاة كان يدين بها الحرايون الذين ذكرنا أمرهم فيما مرّ وفيها شىء من الاختلاف عما تقدم . اذ ذكر (ان المفترض عليهم من الصلاة فى كل يوم ثلاث أولها قبل طلوع الشمس بنصف ساعة أو أقل لتنقضى مع طلوع الشمس وهى ثمان ركعات وثلاث سجديات فى كل ركعة . وثانيها يكون انقضاؤها مع زوال الشمس وهى خمس ركعات وثلاث سجديات فى كل ركعة . وثالثها مثل الثانية يكون انقضاؤها بعد غروب الشمس . وانما الزمت هذه الأوقات لمواضع الأوتاد الثلاثة وهى ؛ وتد

المشرق ووتد المغرب ووتد السماء . ولهم أيضاً صلاة نوافل بمنزلة الوتر وهى ثلاث فى كل يوم . الأولى فى الساعة الثانية من النهار والثانية فى الساعة التاسعة منه ، والثالثة فى الساعة الثالثة من الليل ولا تكون الصلاة الا على طهور) اهـ .

الزواج عندهم

يجوز للصائى أن يتزوج من النساء ما طاب له ، مثنى وثلاث ورباع متى تعهد بالمساواة بين زوجاته مساواة فعلية . وكما ان تعدد الزوجات جائز عندهم ، كذلك الطلاق عندهم فانه مشروع الا انهم يشترطون فيه الحجة البيّنة على ثبوت أسباب الطلاق وتتلخص هذه الأسباب فى أربعة أمور وهى : —

١ — ثبوت الزنا ٢ — عدم الاغتسال من الحيض

٣ — ترك الصلاة ٤ — السرقة

أما تنفيذ الطلاق فيشترطون فيه أن لا يكون على أيدي رؤسائهم الدينيين ، بل يرسل من أراد الطلاق الى المحاكم الشرعية الاسلامية لتبت فيه حتى إذا أراد الرجل أن يعيد النكاح على زوجته المطلقة ، استطاع ذلك بواسطة رجالهم الدينيين .

مراسم الزواج

وللزواج مراسم مخصوصة وتعميد مقرر يجرى على أيدي رؤساء الدين بأوضاع خاصة تبدأ بارسال نسوة الى الخطيبة لتتأكد

من أنها لا تزال بكرة لأن العقد على الثيب ينجس الكاهن الذي يتولى العقد فتعذر عليه الطهارة .

ولما كان الماء أساس الحياة في نظرهم ، فلا بد من اجراء مراسم الزواج في وسطه ، وهى ما يصطلحون عليها بالتعميد .
وكيفية ذلك أن يأتي أحد كهنتهم من درجة (كَنزوره) مع مساعدين له من درجة (ترميده) - أى تلميذ - فيدخل الجميع مع الزوجة في الماء الجارى فيرتسون فيه ثلاث مرات ثم تخرج الزوجة وفي يدها مصباح للدلالة على أنها (عروس) لا يجوز لمسها لأن لمس العروسين خلال السبعة الأيام الأولى من العرس ، ينجسهما ويخاق لهما مشكاة دينية يصعب عليهما اتقاء شرها .

وتذهب العروس الى بيتها فيقرأ عليها الكاهن دعاء خاصاً ثم يعود بها الى الماء فيعمدها ثانية كما عمدها أولاً . فاذا تمّ التعميد الأخير ، أرسلها الى غرفة عرسها حيث تجلس على (كالة)
- سرير العرس - تنتظر مجيئ زوجها اليها

أما الزوج فيعمد كما تعمد الزوجة لأن الواجبات الدينية على الذكر والأنثى سواء في نظرهم .

فاذا تمّ تطهير وتعميد الزوج ، يحضر مع وكيل للزوجة وجماعة من الأقارب والأصدقاء ورؤساء الدين المعلومين في عريش من قصب وتوزع على الحاضرين أرغفة من الخبز الرقيق ليأكلوه

كناموس للزواج . فان لم يأكلوه ، يعطى اما للفقراء أو يلقى في الماء الجارى .

ثم يتقدم الكاهن الذى قام براسم التعميد، فيلبس رداء خاصاً ويلبس العروسان ألبسة خاصة ويلقن وكيل الزوجة صيغة العقد التى تستمر قراءتها زهاء ثلاث ساعات . فاذا تم التلقين المذكور ، تخلع تلك الألبسة الخاصة وتستبدل بألبسة العرس .

وحرام على العروسين وعلى جميع أفراد الطائفة ارتداء اللون الأزرق فى كل حال كما هو الحال عند اليزيدية (عبدة الشيطان) ثم يأخذ الكاهن الزوج الى الزوجة ويلصق نظهره بظهرها ويأمر الزوجة بأن تقابله وتنطح رأسه ثلاث مرات ولكن برفق تتلى خلالها أدعية خاصة . ثم يكسر كوزين معدين لهذه الغاية وينصرف الحضور حيث يكون فى استطاعة الزوج مواقمة زوجته فى السلعة التى يختارها له .

أما المهر فيفرض على الزوج مقدماً ومؤخراً ويجوز أخذه فى وقت واحد . ولا تكاد تختلف بقية العادات الموجودة عندهم فى الزواج عما هى عليه عند المسلمين .

العدة والحيض والنفاس

أقل مدة الحيض عند الصابئة ثلاثة أيام ، وأكثرها سبعة وأما مدة النفاس عندهم فهى ٣٠ يوماً فلا تحل للزوج مواقمة

زوجته في بحر هذه المدة حتى ولو طهرت قبل انقضائها . وبعد
انقضاء مدة الحيض، تذهب الزوجة الى الماء الجاري بجميع ألبستها
فترتمس فيه ثلاث مرات . أما النفساء فتعمل هذا الارتماس بألبستها
بعد مضي الأسبوع الأول على النفاس على أن تجددّه بعد انقضاء
الثلاثين يوماً وهي مدة النفاس القانونية كما تقدم .

وكما لا يجوز للحائض أن تلمس أى شىء في خلال مدة
الحيض ، كذلك لا يجوز للنفساء أن تخلط أو تجتمع بأى أحد
ولا أن تطبخ شيئاً في بيتها ولا أن تقوم بأية خدمة بيتية . ومن
عمل ذلك عمداً كان أم سهواً ، نجس ووجب تعميده .

الاعتراف عند الصابئة

تقضى العادة الدينية عند المسيحيين أنه اذا أذنب أحدهم ،
يعتطيع أن يكفّر عن ذنبه باعترافه أمام الكاهن المختص . وباستطاعة
الكاهن أن يكفّر له خطاياه بأن يقول له (احلك من إثمك باسم
يسوع الآله الذى أعطانى القوة لهذه الغاية . . .) ويضع عليه
شروطاً يشترط عليه تنفيذها فاذا أتمها، غفرت له خطاياه .

وعند الصابئة أيضاً نوع من الاعتراف والغفران يشبه
ما هو مقرر وموجود عند النصارى ولكنه يكون بصورة سرية
جداً أشد مما هي عند النصارى . وكيفية ذلك أنهم يعجنون قليلاً
من البرّ بلا ملح ولا خمير ويجعلونه رقاقاً في أرق ما يستطيع

ويخبزون في تنور جديد، ثم يقطعونه قطعاً مستديرة يقدسها كهنتهم، فاذا تم تقديسها، كانت كأنها خبزاً سماوياً كالذي يقتات منه سكان عالم الأنوار .

وتقدم هذه الأقراص لأفراد الطائفة في أيام الأعياد حيث يتعمدون قبل تناولها وهي لا تعطى إلا لمن كان حسن السمعة مشهوراً بالصلاح . أما فائدتها فيقولون انها تجدد تطهير النفس بحيث ان الشخص اذا أتم بعد تناولها، كان عقابه عشرة أضعاف ما لو أتم دونها .

كهنة الصابئة ودرجاتهم ووظائفهم

لكل أمة من الأمم درجة خاصة تمتاز بكونها ذات مكانة مقدسة وبكونها تشرف على شؤون الأمة الدينية . وتتبع هذه الطبقة في كثير من تصرفاتها وأوضاعها قوانين الدين ومراسيمه الخاصة وقد تسمح لها السلطات المدنية في كثير من الأمم بالاستقلال ببعض شؤونها واتباع أنظمتها الخاصة . وبنسبة رقي الأمم وانحطاطها، تكون أنظمتها الخاصة شديدة وخفيفة إلى هذه الطبقة .

ففي الأمم المتقدمة، تقتصر وظائف هذه الطبقة على إقامة مراسم الدين ضمن المعابد والهياكل . وتنحصر واجبات الجمهور نحوهم بالاحترام والتقديس . أما في الأمم المنحطه، فتكاد تكون كل حركة من حركات الناس متوقفة على الاذن والرخصة من قبل

رجال الدين . ويكاد يكون سلطان الدين فيها سلطاناً لا يزاحمه غيره .
والصابئة من الأمم التي تحكمت فيها السلطات الدينية
وجعلت كلمتها هي النافذة في جميع شؤون الطائفة . فالزواج والجناس
والولادة والتسمية والذبح والصلاة كل ذلك لا يتم إلا على أيدي
رجال الدين عندهم .

وينقسم هؤلاء الرجال الدينيون بحسب رتبهم إلى خمسة
أقسام يستطيع المنتمى إليها أن يتدرج فيها حسب الأصول إذا
توفرت فيه الشروط المطلوبة وهذه الأقسام هي : -

١ - (الحلالى) : يشترط لمن أراد الانخراط فى سلك هذه
الوظيفة أن يكون سالم الجسم من كل العيوب الخلقية صحيح الحواس
قد تمتعت عائلته بهذه الصفات منذ ثلاثة أشهر وان لا تكون أمه
ثيب حينما تزوجها أبوه إلى سبعة أشهر .

أما العلوم التي يتناولها ، فتقتصر على كتب الدين الابتدائية
بعد اجراء مراسم التعميد الخاص بهذه الدرجة .

وتنحصر وظيفة الحلالى فى اقامة مراسم الذبح للعامه ، وكيفية
ذلك أن يحضر مقداراً من القصب والبردى والخلفاء وينظفها
فى الماء ثم يطهر الذبيحة فى الماء الجارى ويطرحها على القصب
ويتلو عليها أذكراً خاصة ثم يبدأ بذبحها ولا يصح لأحد أن يمسه
لأنها تنجس باللمس .

أما ذبيح الدجاج، فيختلف بكونه لا يصح فيه أن توضع الذبيحة حال ذبحها وبعده على الأرض، إنما تذبح بيد الحلالي وتوضع في القدر لمعدّ لطبخها مباشرة لأن وضعها على الأرض ينجسها .

وكما أنه لا يجوز للصابئة ذبح الذبيحة المصابة باحدى العاهات، كذلك لا يجوز لهم ذبح الدجاجة العوراء أو المصابة باحدى العلل . وعلى كل يشترط حضور شاهد يلبس لباساً خاصاً في جميع أحوال الذبح .

ولا يجوز الذبح ليلاً إلا في أحد أعيادهم المسمى بالعيد الخماسي (عيد پنجه) حيث يتساوى فيه الليل والنهار ويستمر خمسة أيام واسمه من لفظه الفارسي (اى خمسة)

٢- الترميدة (أى تلميذ) : يتدرج الحلالي إلى درجة ترميدة بعد أن يجرى المراسم الخاصة لهذا التدرج وذلك بأن يتعمد الارتماس في الماء الجاري المتصل ببئر نابعة، وأن يحضر مجلسه بعد خروجه ، طبقة من الكهنة من درجة مماثلة للدرجة التي يريد الانخراط في ساكنها ومن درجة كَنزوره . فيمكث معهم سبعة أيام كاملات لا تنمض له عين فيها خشية أن يتطرق إليه الشيطان فيحتلم ويفسد عليه عمله لأن الاحتلام عندهم ، دليل على عدم كفاءة الرجل الحلالي إلى هذه الدرجة . ولهذا السبب نراه يضطر إلى الاكثار من تلاوة الكتب والأدعية وإقامة الولائم والأفراح

ودق الطبول والأبواق حتى تنتهي المدة المذكورة . فاذا أتمها كاملة الشروط، أصبح (ترميده) وجاز له أن يعقد على المرأة الثيب فتتخصص وظيفته في العقد على الثيبات ويحرم عندئذ من الارتقاء إلى درجة (كَنزوره) ولا يمارس أعمال دينية غير العقد المذكور ويسمى (أبو يسقى) أو (كَنزوره من الدرجة الثانية) .

٣ - الكَنزوره : لا بد للترميده الذي يريد أن يرتقى إلى درجة (كَنزوره) أن يكون متزوجاً وغير عقيم . فاذا لم تكن له زوجة وذرية ، فلا يصح له أن يكون (كَنزوره) وإذا ارتقى إلى الدرجة المطلوبة، وجب عليه الانقطاع عن مواصلة زوجته حتى يعقد مهراً لعالم من درجة (ترميده) وعندئذ تباح له المواصلة المذكورة . ويشترط فيه أيضاً أن لا يكون قد عقد على ثيب ما لأن العقد على الثيب من اختصاص الترميده كما أسلفنا .

أما المراسيم التي يجب عليه أن يجريها لذلك ، فهي عبارة عن إقامة عريش من قصب على بئر متصلة بماء جار يتعمد فيها بمشهد رجلين من الدرجة التي يسعى إليها واثنين آخرين من درجته الأصلية (أي ترميده) فاذا أتم هذه المراسم ، أصبح (كَنزوره) وفي طائفة الصابئة اليوم لا يوجد أكثر من عدد محدود لا يتجاوز السبعة من هذه الدرجة فقط أما الدرجتان الرابعة والخامسة فلم يبلغ إليها أحد في هذا العصر لعدم توفر الشروط المطلوبة لهما .

ومعنى كَنزوره ، مفسر كتاب (الكَنزه) - أحد كتب الصابئة المقدسة - أو صاحب الحق في تفسير هذا الكتاب .
٤- الأرشمة : ومعناه رئيس الأمة وصاحب الكلمة النافذة ولا يوجد اليوم في الصابئة من بلغ هذه الدرجة بعد

ويشترط للكنزوره الذي يريد الارتقاء إلى هذا المقام، أن يكون شخصاً ذا أهلية وكفاءة تجعله جديراً بهذا المنصب الخطير .
أما المراسم التي يجريها ، فلا تختلف عن مراسم الترميده الذي يتدرج إلى درجة الكنزوره إلا في عدد الأشخاص الذين يحضرون إقامة المراسم من طبقتهم ومن الطبقة التي يرتقى إليها . فانه يشترط أن يكون عددهم سبعة وأن يكون السبعة الذين من طبقتهم قد استفادوا من علمه (وتعلموا) عليه .

٥- الرباني : بعين الشروط التي يحتاز بها الكنزوره إلى درجة (أرشمه) ، يرتقى (الأرشمة) إلى درجة (رباني) إلا أنه يختلف بعدد الشهود الذين يحضرون ترميده . فانه يشترط أن يحضر إقامة المراسم سبعة أشخاص من الطبقات الثلاث (الترميده والكنزوره والأرشمه) وتتلى عند إقامة هذه المراسم أذكراً وأدعية خاصة من قبل الشهود المذكورين في أيام معينة العدد . فاذا ارتقى العالم إلى هذه الدرجة ، يرتفع إلى عالم الأنوار (آلى دنهورو) .

ولم ينل هذه المرتبة من السابقين حتى الآن إلا يحيى (ع)

المسمى في لغتهم المندائية (يهيه بهانه) كما انه لا يجوز وجود شخصين من هذه الدرجة في عصر واحد .

طعام الكهنة وبعض وظائفهم

لا يجوز للكاهن الصابئ أن يأكل من دار غير داره ولا من يد امرأة غير معمّدة انما يختص بزوجته التي عمدها هو واعتمد على معرفتها بمراسم الطعام والفسيل واحضار ماء الشرب، فتتولى هي احضار طعامه وشرابه وسائر ما يحتاج اليه بمراسم خاصة . فاذا لم تكن عنده زوجة، فيتولى هو بنفسه إعداد الطعام والشراب لنفسه .

وقد حضر الشيخ دخيل ذات يوم عندنا في الدار «وهو من رؤساء هذه الطائفة» فامتنع عن تناول الطعام والشراب رغم حاجته الى الماء . ومن غريب ما ذكره لنا انه في حالة تناوله طعامه في بيته، يضع على صدره منديلاً خاصاً فاذا سقط طعام على غير ذلك المنديل ، حدثت له مشكلة مهمة يتعذر عليه الخروج منها .

وللعلماء ذبح خاص يختلف عن ذبح العامة ويتولونه بأنفسهم بأوضاع مخصوصة وآداب متوارثة ، وهم يتولون - حسب درجاتهم - تعميد أفراد طائفتهم وتعليمهم الأمور الدينية والعقد على الأبقار دون الثييات .

التعميد واقسامه عند الصابئة

التعميد عبارة عن اجراء مراسم خاصة يكتسب بها الشيء المعمد صفة دينية مقدسة . فاذا تعمد الطعام أو الطفل ، اكتسب صفة خاصة تؤهله للقيام بوظيفة دينية .

فالطعام مثلاً يحل بعد التعميد ، والطفل يطهر به ، والمذنب يكتسب بواسطته الغفران ، فهذه الصفات الجديدة انما اكتسبها الأشخاص واتصفت بها الأشياء بواسطة التعميد .

وتكاد تنحصر طرق التعميد عند الصابئة (وهم يسمونه مَصَوْتًا) في أربعة أنواع وهي : —

١ — عماد الزواج : وهو عبارة عن المراسم التي تقام للعروسين عند عقد الزواج وقد شرحنا ذلك فيما تقدم .

٢ — عماد الولادة : ونقصد به ما يصبح به الطفل طاهراً .
فاذا رزق أحدهم مولوداً ، وجب عليه أن يخبر الكاهن به ليعين له الزمان والمكان والنجم والطالع والبرج والمنزلة التي ولد فيها ، ويثبت له مع مقارنة هذه الأشياء وبعد اختبار الطالع ، اسماً يدل عليه برجه ومنزله السماوية . ويكون هذا الاسم محفوظاً للمولود . وبلغتهم المندائية الخاصة — ثم يضعون له بجانب هذا الاسم ،

اسماً آخر تقتضيه البيئـة التي يعيشون فيها، ففي البلاد العربية يسمونه باسم عربي وبغيرها من البلدان يسمونه بأسماء سكان تلك البلدان .
فاذا مرّ على المولود أربعون يوماً^(١) وجب أن يعمد بتعميد الولادة. وكيفية ذلك أن يذهب به إلى كاهن من درجة كنزوره مع شخصين من درجة ترميده (أى التاميد) وبعد أن يرتدى الكهنـة حلتهم الكهنوتية المسماة (رسته) ويأخذ رئيسهم (الكنزوره) عصا خاصة (تدعى مركنه) ، ينطلقون إلى الماء الجاري ، فيجلس الرئيس بين تلاميذه على حافة النهر ويتلو على رأس الطفل أذكاراً خاصة وينزل في النهر ، فيشرع يغرف الماء بيده ويصبه على المولود ثلاث مرات وهو يتلو في كل حركته أدعية مقررة، ثم يضع في أصبع المتعمد خاتماً من عود الآس ويخرج بعد ذلك من النهر بعد أن ينتزع الخاتم من أصبع المولود ويضعه على جبهته .

ثم يتناول بيده اليمنى مقداراً معيناً من البخور يلقيه في نار معدة لذلك ويتلو أثناء اشتعال البخور أدعية خاصة، ثم يتناول عشر حبات من حب السمسم المقلي الموضوع في كيس خاص فيصب عليها قليل من الماء يغترفه بيده من النهر بعد خروجه ، وبعد أن يلته بأنامل يده اليمنى ، يضعه على جبين الطفل ثلاث مرات يقول

(١) لا يجوز تعميد الطفل قبل خروجه من الأربعين ولا بعد مرور شهرين على ولادته ولا في أيام الأعياد مطلقاً ويستحب تعميده في أيام الأحاد

في أثنائها مامعناه (لقد وُسِّمت بسمَةِ الحياة واسم الحياة واسم معرفة الحياة مذكوران عليك) .

ثم يصلى عليه صلاة طويلة يصبح بعدها الطفل معمداً، ثم يرفع الكاهن الخاتم عن جبهة الطفل ويضعه على شفتيه ثم يرميه في الماء، وبهذا ينتهى التعميد وينصرف المحتفلون بتعميده .

٣- عماد الجنابة : ينجس الصابئى بالجنابة ، وتحتاج طهارته إلى تعميد في ماء جارٍ سواء أكان الوقت قيظاً أم شتاءً وبراسم خاصة يعقبها وضوء كما مر بنا في بحث الطهارة والصلاة .

والصابئى ؛ يجب إذلس الميت أو المولود أو الحائض أو النفساء أو دم الحيوان المذبح على غير شريعتهم أو إذا نهشته الحية أو لسعته العقرب أو غيرهما من الهوام .

٤- عماد الجماعة : فرض على الصابئى أن يتعمد في كل عيد (بنجه) من كل سنة ويقام هذا العيد في خمسة أيام بين شهرى كانون الثانى وشباط من كل عام، وينسب كل يوم من أيام هذا العيد إلى شخص من أشخاص التاريخين ، فيلبس الصابئى في هذا العيد ألبسة بيضاء ويمشى حافي القدمين ويرتس كل منهم في الشط قبل تناول الطعام ويدهن شعره بدهن السمسم .

والتعميد في هذا العيد يشمل الرجال والنساء على حدّ سواء

والقصد منه التكفير عن الذنوب بزيارة الكنائس المقدسة
والارتماس في الماء .

اعیاد الصابئة

تقسم السنة عند الصابئة إلى ٣٦٠ يوماً وإلى ١٢ شهراً في كل
شهر ثلاثون يوماً . وأول السنة عندهم نيسان وتليه الشهور على
الترتيب بأسماء تختلف قليلاً عن أسماء الشهور الرومية .

أما بدء التاريخ عندهم، فينقسم إلى ثلاثة أقسام: فبدء الخليقة وهبوط
آدم، أول تاريخ تضبط به السنين عندهم . ويليه عام الطوفان الذي
يعتبر الآن تاريخاً لتحديد السنين . ثم ولادة يحيى (ع) التي
لا تفرق في المدة عن ولادة المسيح (ع) إلا بستة أشهر، لذلك فهم
يتفقون في بداية تاريخهم الأخير مع التاريخ الميلادي .

أما التاريخ الهجري، فهم يعتقدون بصحته أيضاً ويستعملونه
في كثير من معاملاتهم الدينية والرسمية لأن ظهور النبي محمد
(ص) كان منصوصاً عليه في كتبهم المقدسة وهو بداية الدور
الأخير الذي يحتاج إلى اصلاح .

وهم يقدسون يوماً واحداً كالنصارى ويعطون فيه اشغالهم لانهم
يعتقدون بنزول (موشيه) أحد ال ٣٦٠ قديساً السماويين من عالم
الأنوار (آلي دنهورو) إلى الأرض لتع ميدأهل (مشوني كسطه)

ولذا فهم يسمون هذا اليوم باسم القديس السماوى . أما بقية أعيادهم الرسمية فهي : -

١ - عيد الكبير ويسمونه (دهور ربه) أى عيد ملك الأنوار ومدته ٣٦ ساعة تبتدىء باليوم التاسع من شهر آغستوس ويشترط فيه أن يلازم الصابئي بيته وأن يذخر فيه ماءً يكفيه لأيام هذا العيد لأن ملك الماء مع سائر الملائكة الأرضيين ، يرجون إلى عالم الأنوار للاحتفال بهذا العيد فيستغرق صعودهم ١٢ ساعة وبقاؤهم في عالم الأنوار ١٢ ساعة وهبوطهم ١٢ ساعة وهم يعتبرون هذا العيد، اليوم الذي غفرت فيه خطايا آدم وتكلم فيه بألفاظه القوية ويراجع العلماء في مثل هذا اليوم ، كتب الطالع المقدسة ليستكشفوا حوادث السنة وما يقع فيها . ولهم فيه عادة تكاد تكون موجودة عند جميع الأمم التي تحتفل بعيد (النوروز) وهي وضع الفواكه الطرية واليابسة في طبق طيلة ليلة العيد حتى إذا ما أصبحوا ، تناولوه . ويسهر كل صابئي في هذا العيد خشية أن يحتمل .

٢ - عيد البنجه ويسمونه (دهور پرونايا) ويستغرق خمسة أيام كما تدل عليه اللفظة الفارسية . وهي الخمسة الأيام التي تكبس بها السنة لأن أشهرهم ثلاثون يوماً . ويقع بين الشهرين الثامن والتاسع من سنتهم (١)

(١) تبتدىء سنتهم بشهر نيسان كما تقدم

وكل يوم من أيام هذا العيد، مخصص بشخص من الـ٣٦٠ قد يساً
ويتعمد العامة في هذه الأيام ويقدمون فيه الضحايا وهو بعد عيد
الصغير بـ ١٣٢ يوماً وفيه تقديس الكنائس المحدثه التي تنشأ عادة
من حزم القصب على شواطئ الأنهر ويكون لها نافذتان مع
باب تقابل جهة الجنوب ليستقبل الداخل فيها نجم القطب القائم
تحت العرش الرباني .

٣ — عيد الصغير وهو العيد الذي جمد فيه جبرائيل الأرض
بعد أن كانت سائلة باسم الآله ومدته ثلاثة أيام تقع بعد العيد الكبير
بـ ١٠٨ أيام وتقدم فيه القرابين للموتى وتعمل فيه أعمال البر لهم
ويبتدى هذا العيد في اليوم الثامن عشر من شهر ايار الصابئي
وينتهي في ٢١ منه .

كتب الصابئة المقدسة

الكتب المقدسة، هي المصادر الوحيدة لأديان العالم. ولا توجد
اليوم أمة لا تستمد ديانها من كتب تعتقد بصدورها من مصدر
سماوى، وحتى الأمم المتوحشة فانها تسند أساطيرها وطقوسها
إلى مصدر روجي وراء هذا العالم المنظور . وتجهد هذه الأمم
في أن تجعل هذه الكتب صادرة من واسطة التبليغ مباشرة بل
قد يترقى البعض منها فيجعل هذه الكتب منزلة بمجموعها من
السماء كما تدعيه الصابئة في صحف آدم المفقودة، أو كما تدعيه اليهود

في توراتهم قبل النبي. وقد يكون هذا الدافع طبيعى لتقوية الاعتقاد ببناء الايمان على أساس متين .

وقد سمعت المجمع التى عقدتها الأمة النصرانية فى القرون الوسطى إلى تصحيح الأناجيل وإلى محو المشتبه فيه كما حصل مثل هذا التصحيح للقرآن فى صدر الاسلام حينما أمر عثمان (رض) بحو مالم يكتب بلغة قريش . وهكذا نجد الأمم على اختلافها تعتقد بأن كتبها هى المصدر المفيد لليقين بتكاليفها والواسطة التى تدين بها لمعبودها .

ويرى الصابئة زيادة على ماتراه الأمم الأخرى ، ان كتبهم المقدسة قد توارثوها بصورها الموجودة لديهم عن آدم أبى البشر . فابراهيم الخليل فوسى فيوحنا المعمدان ، وهم يعترفون بأن معظم هذه الكتب قد تلف بالرغم من حرصهم على الاحتفاظ بها إلا انهم لا يشكون فى أن صورة الموجود منها طبق الصورة الأصلية المنزلة . وان التطورات التاريخية لم تؤثر عليها من هذه الناحية لافى اللغة لولافى الترتيب وقد يكون هذا الشئ مستبعد .

وأهم الكتب التى بقيت فى أيديهم حتى الآن هى :-

١ - كتاب (الكنزارتا) أو (السدرا دادم) أى الكتاب

العظيم أو الكتاب المنزل على آدم (عليه السلام) وهو مطبوع على حجر فى لايسك بالمانيا وتختلف الصابئة فى تاريخه فمنهم من

يقول بأن تاريخه يرتقى إلى ما قبل النصرانية ومنهم من ذهب إلى أنه من عهد يوحنا المعمدان ولا يكاد تاريخه يعرف بالضبط. وتنحصر مباحثه في ذكر بدء الخليقة والتطورات التي حدثت للبشر.

٢ - كتاب (أدراشه ديهي) أي تعاليم يحيى وهو أحدث تاريخاً من الأول ويتضمن حياة النبي يحيى (ع) وأرشاداته وتعاليمه الدينية. فيكاد والحالة هذه، يشبه الأناجيل الموجودة في أيدي النصارى وفيه أيضاً بحث في النجوم والكواكب يستعينون به على استخراج الطالع والقال .

٣ - (القلستا) أي كتاب الفرح وهو خاص بالبحث عن مراسم الزواج والاحتفالات التي تقام أثناء العقد وعن كيفية تحليل النكاح الشرعى وأجراء الخطبة .

٤ - (سدرا دنشمانا) أي كتاب النفوس وموضوعه البحث في مراسم الجناز وتلقين الأموات وكيفية دفنهم وأسباب تحريم البكاء والحداد عليهم وما إلى ذلك مما يتعلق بالموت والمعاد .

٥ - (الديونان) وهو سفر ضخم تذكر فيه قصص بعض الروحانيين وسيرهم مع صورهم وهو من أنفس كتب الصابئة التي تعين المتبع لديانتهم على الوقوف على أهم ما يتطلبه الباحث .

٦ - (أسفر ملواشى) أو (أسفر ملواشا) ومعناه سفر البروج الذي يتمكنون بواسطته من معرفة البرج الذي ولد فيه الشخص.

فيستنبطون منه اسمه المقدس الذي يبقى محفوظاً لديهم ويعينون به طالع المولود .

٧ - (الاينانى) أى الأناشيد أو الأذكار الدينية التى تتلى فى الصلاة وهو كتاب خطى قديم، شاهدت نسخة قديمة منه على رق غزال .

ولهم عدا ماتقدم ، عدة كتب تتعلق بطقوسهم وآدابهم ومعائدهم وسائر سننهم الاجتماعية وهم حريصون جداً على هذه الكتب ولا يكاد الانسان يستطيع الوقوف على أحدها إلا بشق الأنفس لأنهم يرون ان اطلاع الغير على كتبهم، أمر محرّم يؤثم عليه الفاعل .

عدد الصابئة ومنازلهم

ان شرط الانتماء إلى دين الصابئة وما يتطلبه من مراسم تقبله، هو السبب الذى جعلهم محصورين فى العدد آخذين فى التناقص وقد لا يمرّ قرن عليهم إلا وهم منقرضون من سفر الوجود أضف إلى ذلك ان حالتهم الاجتماعية وعادات الزواج عندهم تمنعهم من التوسع والانتشار ، فلا يستطيع غير الصابئ أن يكون صابئياً ، ولا يحل للصابئ أن يتزوج بغير صابئية ولا يزيد عدد الموجود منهم الآن على ٥٣٠٠٠ نسمة إلا أن الشيخ دخيل ذكر لنا ان عددهم يوبو على ١٠٠٠٠٠ نسمة وأمر ذلك موكل إلى الاحصاء الرسمى .

وقد كانوا في أيام الخلفاء العباسيين منتشرين في كثير من بلدان الشرق التي تقع على الأنهر. وكان لهم مركز دعاية في حران^(١) أما اليوم فقد أصبحوا محصورين في أماكن معينة من العراق وفي بلاد عربستان. ومعظم منازلهم بل كلها واقع على شواطئ الأنهر لأن طقوسهم وعاداتهم الدينية لا تتم إلا بالارتمانس في الماء الجاري كما أسلفنا. وقد حدثت في الأيام الأخيرة عدة حوادث أفنت الكثير منهم وقضت على عدد من كتبهم المقدسة ولاسيما في أيام الاقطاعات في العراق وعربستان. وقد قصّ علينا الشيخ دخيل الموى اليه عدة حوادث عن اضطهاد الصابئة لم تثبتها هنا لفقدان تاريخها بالضبط.

وأهم البلدان التي يقطنونها في الوقت الحاضر هي: العمارة والعزير (بالتصغير) وقلعة صالح والشرمش ونهر صالح وكرمة بنى سعيد والجبائش والحمار « بتشديد الراء » وسوق الشيوخ والناصرية والبصرة والحمرّة وششترو ودسبول وغيرها وقد توطن بعضهم بفداد بعد الاحتلال البريطاني ونزح فريق آخر إلى طهران طلباً للرزق

(١) عن تقويم البلدان لأبي الفداء ص ٧٧ طبعة أوروبا « وكانت حران مدينة عظيمة وأما اليوم غراب، قال في المشترك وحران مدينة مشهورة تعد من ديار مضر » بالضاد المعجمة ، قال ابن حوقل وهي مدينة الصابئين وبها مدنها السبعة عشر وبها تل عليه مصلى للصابئين يعظمونه وينسب إلى ابراهيم . وهي قليلة الماء والشجر . . . الخ ،

وقد ذكر لنا الشيخ دخیل ان بعض أبناء الصابئة أخذت ساهل
فی أمر المراسم الدينية الأمر الذي قد یدیح لهم السكنی علی غیر
مجارى المياه . أما صناعتهم فهي علی الأغلب صياغة المیناء .

صياغة المیناء

والمیناء (بالکسر والمدّ) لفظ فارسی معناه صناعة جواهر
الزجاج وهو اسم لآکاسید معدنية تصهر بمادة زجاجية وتزين بها
الأواني الثمينة فتکسبها رونقاً وجمالاً .

وصناعة المیناء قديمة عرفها الطورانيون الأقدمون وتناقلها
عنه المصريون والفينيقيون ثم انتقلت إلى الهند وفارس ثم إلى
البيزنطيين وقد انتشرت في الشرق والغرب حتى بلغت أوج کمالها
في نهاية القرن السادس عشر للميلاد .

وهي إما شفافة كالزجاج یحترقها النور وتحکی عمماً ورائها
وإما كثيفة تزين بها سطوح الأجسام فتشبه الخزف الصيني . وكلا
النوعين یمتاز بكونه ذا ألوان متعددة وهي تستعمل لوجوه الساعات
التي تثبت علیها الأرقام .

أما طريقة عملها فتكون بسحق الأجزاء المطلوب مزجها
بكميات معينة كل علی حدة سحقاً جيداً ثم توضع علی النار فتصهر
إلى أن تسيل في بودقة مغطاة أربع مرات ترفع في كل مزة لتسکب

بالتدرج في ماء حتى تتصلب الأجزاء فيسهل سحقها وتجري من وراء ذلك عملية التخطيط على الأجسام بالصور المطلوبة .

وقد تخصص القسم الأغلب من الصابئة بهذه الصناعة حتى أبدعوا فيها وأتقنوا فن نقل الصور بضبط ودقة . وتكاد هذه الصناعة تنحصر فيهم لأنهم حريصون على حفظ أسرارها .

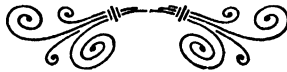
ويعتبر البعض منهم صناعة السفن الصغيرة المسماة (الطرايد) وهي السفن التي يكثر استعمالها في جنوبي العراق كما ان بعضهم يمتن الحداذة ويبيع الأخشاب وهم قليلون جداً .

الخاتمة

تبين مما تقدم، أن الباحث لا يستطيع أن يصل بصورة قطعية إلى مبدأ الدين الصابئي وإلى التطورات التي طرأت عليه في القرون المتوسطة، وهل هؤلاء الذين يدعون أنهم صابئة هم الصابئة الأقدمون الذين ذكرهم القرآن ونوّه عنهم مؤرخو القرون الوسطى؟ أو أنهم طائفة أخرى انحلت هذا الاسم كما يدعيه (هنرى يونيون) في كتابه (الرقم المندائية)؟؟ إلا اننا نستطيع أن نجزم بأن في كثير من تعاليمهم وطقوسهم الدينية، الشيء الكثير من تعاليم الدين الصابئي القديم وان كنا نجهل طرق توصلهم إلى تلك الطقوس . أما الكتب الموجودة بأيديهم، فهي مع قدمها، لا تكاد تفيد.

اليقين بأنها كتب الصابئة الأقدمين أو أنها باقية من قبل الطوفان
أو بعده أو من زمن يوحنا المعمدان بأيدي هذه الطائفة .

ولا شك في ان ماسطرناه نقلنا عن الكتب التاريخية واستناداً
إلى ما كتبه البعض وقصه علينا رئيس الطائفة الشيخ دخيل،
الكفاية لمن أراد أن يدرس حياة وأحوال هذه الطائفة الغربية في
أشكالها وسحنة وجوه أبنائها والتي تشرف اليوم على الانقراض
وقد تصبح في سجلات التاريخ بعد حين . م



اهم الكتب التي اعتمدنا عليها في وضع هذه الرسالة

- ١ — دائرة المعارف الانجليزية
- ٢ — الفهرست لابن النديم
- ٣ — دائرة المعارف الأفرنسية
- ٤ — الرقم المندائية (كتاب افرنسى)
- ٥ — مجلة المقتطف
- ٦ — كتاب ضخيم في اللغة الألمانية
- ٧ — الملل والنحل للشهرستاني
- ٨ — تقويم البلدان لأبي الفداء
- ٩ — مجلة البيان لليازجى
- ١٠ — اغائة اللهفان في مصائد الشيطان
- ١١ — مروج الذهب للمسعودى
- ١٢ — مقدمة ابن خلدون
- ١٣ — القاموس المحيط للفيروز ابادى
- ١٤ — الملل والنحل لابن حزم
- ١٥ — مجلة المشرق لليسوغيين
- ١٦ — مندائى
- ١٧ — كتاب أبكار الأفكار للآمدى (خط) ... الخ

مضامين الكتاب

الموضوع	الصفحة
كلمة المؤلف	
المقدمة بقلم العلامة الكبير احمد زكي باشا	
٥ الصابئة قديماً وحديثاً	
٨ أدوار الديانة الصابئية	
٨ الصابئة في الدور الأول	
١٠ » » » الثاني	
١٢ » » » الثالث	
١٤ » » » الرابع	
١٥ فرق الصابئة	
١٦ الفرقة الأولى : أصحاب الروحانيات	
١٧ الفرقة الثانية : أصحاب الهياكل	
١٩ الفرقة الثالثة : أصحاب الأشخاص	
٢٠ الفرقة الرابعة : الحلولية أو الحرانية (وهو الأصح)	
٢١ الفرق بين فرق الصابئة	
٢٢ الصابئة الحرانية	
٢٥ صابئة البطائح	
٢٧ عقائد الصابئة وطقوسهم الدينية	
٢٨ فكرة الخالق وبدء الخليقة	
٣٠ الكون في نظر الصابئة	
٣٢ خلق آدم (ع)	

الموضوع	الصفحة
فكرة الخير والشر	٣٣
الموت في نظر الصابئة	٣٣
ما بعد الموت	٣٦
المعاد	٣٨
الصوم عند الصابئة	٣٨
الصلاة عندهم	٣٩
الزواج عندهم	٤٣
مراسم الزواج	٤٣
العدّة والحيض والنفاس	٤٥
الاعتراف عند الصابئة	٤٦
كهنة الصابئة ودرجاتهم ووظائفهم	٤٧
طعام الكهنة وبعض وظائفهم	٥٢
التعميد وأقسامه عند الصابئة	٥٣
أعياد الصابئة	٥٦
كتب الصابئة المقدّسة	٥٨
عدد الصابئة ومنازلهم	٦١
صياغة الميناء	٦٣
الخاتمة	٦٤
مصادر الرسالة	٦٦
مضامين الكتاب	٦٧

